روايات عبير ٢٠٠٠
نجمة

كارول هالستون

الليالي الحالمة

ترجمة
ريمة الفوال

www.elromancia.com
مصرموريا

دار الكتاب العربي
دمشق القاهرة
٢٠٠٨

الليالي الحالمة

كانت «فران» برايت تعيش حياة رائعة . حيث تقطن ، طيلة السنة عند عمتها في « كي ويست» وهي عبارة عن جزيرة صغيرة في فلوريدا ..كانت تغني أمام المقاهي ، وتمضي وقتها في التمدد تحت أشعة الشمس والسباحة ومسامرة الأصدقاء والضحك معهم.

إنها حياة يسودها الفراغ والتسلية .. والسهولة ،

أصيبت «فران» بصدمة كبيرة ، لدى رؤيتها عمتها مجبرة على بيع منزلها الثري الأنيق «جوناثان تالبوت» .

ماذا سيصبح حالها ؟ !

قام «جوناثان» بتقديم اقتراح ، يقوم على أساس بقائها على الجزيرة .

ترى هل أحست بجاهزيتها على التضحية بحريتها الغالية وشبابها لتصبح المرأة التي يريدها ؟

www.elmaktabeh.com

الفصل الأول

تنفست «فران» الصعداء وهي تنظر أمامها ، بعد إيقاف دراجتها الهوائية وتمتمت قائلة :

– ما أجمل العالم في «سونست» التي تراودها لتشق طريقها متجهة إلى هضبة عالية تطل على خليج المكسيك .

كانت هناك مجموعات كبيرة من السياح تحيط بالمغنيين والموسيقيين والبهلوانيين الذين ينتشرون دوما بعد ظهر كل يوم ليملأوا هذا المكان بضجيجهم.

لاحظت «فران» تقدما ملحوظا في كلمات أغاني الشعراء التي كانو يرددونها دوما وهم جالسون على شاطىء الخليج ، بحيث يقومون جميعا بتصحيح خطأ ما يرتكبه واحد منهم ، ويجعلون من هذا التصحيح حركة تهريج تثير الضحك والسرور لدى المشاهدين من المارة المتجمعين حولهم ، الذين كانوا شديدي الكرم معهم في هذه المرة ..

في حين يلاحظ حاجة الفنانين الإرتجاليين للمال بهدف مساعدة راتبهم الشهري الضئيل .

وهكذا وجدت «فران» نفسها بحالة عدم استقرار فالحياة باهظة جدا في «كي ويست» هذه الجزيرة الفردوسية الواقعة في أقصى جنوب فلوريدا التي يتوافد عليها الشباب بأعداد كبيرة بسبب طقسها الاستوائي ، وشواطئها الرملية ومياهها النقية ، ذات اللون السمائي الصافي .. هؤلاء الشباب الذين لم يتحملوا بعد المسئوليات العائلية أو المهنية والذين يعيشون كل يوم بيومه دون الاهتمام على الإطلاق بما سيحدث غدا . يمضي هؤلاء الشباب بضعة أسابيع أو أشهر في جزيرة «كي ويست» ، خلال فترة العطلة الدراسية أو اجازة العمل السنوية ..

كانت «فران» تعيش في هذه الجزيرة منذ بداية السنة وحتى نهايتها حيث تشعر بالسعادة والسرور . ولكن للأسف ! فقد قررت عمتها فجأة العودة إل «جورجي» وبيع منزلها .. هل ترى سيكون بإمكان «فران» البقاء هنا في هذه الجزيرة ؟ إنها تشك بهذا الأمر.. إذا كيف سيمكنها الحصول على قوت يومها وعلى مكان إقامة لها وهي لا تحصل إلا على قليل من المال ، أثناء عملها لفترة

بسيطة كبائعة في دكان بيع ملابس يحمل اسم «الليمونات الذهبية»

لذا ها هي «فران» تحاول نسيان أفكارها السوداء ، من خلال نقل نظرها من مجموعة لأخرى من بين تلك المجموعات المنتشرة على الشاطيء .. كانت «فران» تعرف جميع الشباب الذين يعملون هنا في هذا المساء . منهم المغنيان الشاعران «جورج وبيمبو» ، والساحر «مايك» هذا الساحر الذي كان بحق بارعا جدا ، إذ كان يتوصل على الفور إلى الاتصال مع المشاهد له . إضافة إلى أن فقرته لا تدوم إلا لحظات محدودة ، بحيث تنتهي مع سقوط قرص الشمس الأحمر داخل مياه البحر ..

ويبدأ الظلام يلوّن المحيط ممتزجا مع الشعاعات الحارقة لخط الأفق .. وتعود مراكب الصيادين إلى الشواطىء ، ويظهر الصيادون وهم يحملون شباكهم السود على ظهورهم ، يلوحون من بعيد وكأنهم حشرات ضخمة تتحرك بأجنحتها السوداء.

وأخيرا يطل يخت أبيض ليرسو ببطء على المرفأ ، ويبدأ ركابه بارتشاف المشروبات الباردة ، تحت أنظار الحاسدين من هؤلاء الذين ينظرون إليهم من سطح الأرض...

كانت كاميرات التصوير تلتقط الصور وتدور بأيدي السائحين الذين يبحثون تخليد هذه اللحظات السحرية .

كان هناك دوما ما يثير شفقة «فران» تجاه بعض الذين يقضون أجازتهم في هذا المكان . إذ إن عليهم البقاء لفترة زمنية معينة في «كي ويست» ! أما بالنسبة لها فهي تتمنى العيش مدى الحياة في هذا المكان . ولكن لم يكن هذا بالأمر السهل ، إذ كان عليها تركه للذهاب إلى عملها فترة ١٢ ساعة يوميا ، مما جعل وقت الفراغ أمامها قليلاً ، ومع ذلك فقد أقسمت على أن تجعل فترة إقامتها دائمة .

- «فران» !

إنه صوت أعادها إلى اللحظة الراهنة .. نظرت «فران» حولها .. لقد وصلت إلى حافة المرفأ ، حيث تتواجد مجموعة مؤلفة من ستة موسيقيين يحاولون أن يعزفوا على آلاتهم الموسيقية بعض المعزوفات العادية والسائدة .. إذ لم يكن لديهم وقت لعزف معزوفة جيدة ، إضافة إلى السبب في تواجدهم هنا في هذا المساء ، هو فراغ جيوبهم من المال ...

- «فران» !

بدا أن هذا الصراخ بمثابة طلب نجدة .. لذا التفتت «فران» إلى الموسيقيين وتوجهت إليهم بلا تردد ، وأنشدت أغنية راقصة قديمة من الغرب يمكنهم أن يرددوها دون أية صعوبة أو حرج وهكذا بدأ المستمعون فجأة إلى الالتفاف حول هذه المجموعة الصغيرة .. وما أن أنهت «فران» أغنيتها ، حتى بدأ جو من المتعة يسود المكان ... ودوى التصفيق بين صفوف المجتمعين حولها وهي تحاول البدء في غناء الأغنية الثالثة .. بدأت الشمس تلوح بالمغيب ومازالت «فران» تختبىء بقبعة عازف الأكورديون ، وهو طالب جامعي من «دنفر» ويعمل بدوره كمساعد ، في حين بدأت القبضات المملوءة بالمال تصب ما بها داخل كيس النقود المتواضع ..

كانت «فران» تتحرك بكل بسهولة وسط المجموعة ، وهي تتمايل في تنورتها العريضة المزينة بألوان زاهية ، في حين يتطاير شعرها الذهبي المربوط إلى الجبهتين يداعب وجهها الجميل ، أما فمها فكان هادئا ومعبراً .. في حين نجد أن عينيها هما الأكثر جاذبية في وجهها من خلال لونهما الأزرق اللامع بزرقة مياه «كي ويست» ومزينتان برموش طويلة ..

تابعت «فران» عملها ، وهي متأكدة تماما من حصول

أصدقائها الموسيقيين على ما يملأ بطونهم لهذه الأمسية !

وفجأة توقفت «فران» مذهولة ، أمام واحد من الواقفين مستمعين حولهم .. إنه رجل طويل القامة ، ذو نظرة براقة تُحدّق فيها بكل وقاحة ، هي التي لم تكن -رغم كل شيء- خجولة .

ظلت «فران» لبضع لحظات بدت لها نهائية دون حراك ، وهي مستمرة في مكانها ومذهولة من نظرة حدقاته الرمادية . ولكنها نجحت أخيرا بالابتسام له ومدّ القبعة أمامه وهي مذهولة مما تراه ، مستغربة من إصراره على النظر إليها والتحديق فيها .. أخرج الرجل محفظته من جيبه دون أن يبعد عينيه عن النظر إليها ، وتناول ببطء شديد ورقة نقدية مطوية طوليا ، ليضعها في صدر «فران» التي قفزت فجأة ، وخداها يفوران من الغضب ، حيث سارعت بإعادة الهدية التي قدمها هذا الرجل المجهول ووضعها داخل صدرها .. ولكنها لاحظت بكل دهشة ، أن هذه الورقة المالية عبارة عن عشرين دولاراً ! .

تمتمت «فران» أثناء مروها أمامه قائلة :

- شكرا .

لاحظت «فران» عندئذ ، أن هذا الرجل لم يكن وحده ، بل كانت هناك امرأة شقراء شابة تضع يدها في ذراعه بطريقة حميمة واضحة ، وهي ترتدي ملابس تشير إلى أناقة معقدة ، وتضع مكياجا على وجهها يُضيف بشاعة على وجهها الجميل ، في حين أنها تنظر إلى المغنية نظرة ازدراء واستهزاء . أحست «فران» فجأة بأنها فتاة عادية جدا بتنورتها القطنية وحذائها المصنوع من الجلد الطبيعي !

ازداد إحمرار وجه «فران» وتصورت بأن المرأة الشابة لم تقدّر أبدا كرم زوجها وعطاءه واختفت بهجة «فران» فجأة عند وضع تلك الفتاة مبلغ من المال ، وبإشارة متفق عليها ..

عادت «فران» إلى أصدقائها ، الذين سبق لهم وقاموا بترتيب وطي آلاتهم الموسيقية ..

بدأت جميع الأنظار تتجه إلى مشهد غروب الشمس الرائع . حيث بدأت الشمس بالغوص داخل أعماق المحيط ، في حين أخذ السائحون في الانصراف .

وجدت «فران» نفسها بعد فترة وسط مجموعة مؤلّفة من عشرين فتاة وشاباً من عمرها . أخذت تضحك معهم وتمزح

وتتحدث مع الانفعال ببعض الحركات ، متناسية الرجل صاحب العينين الرماديتين الكريم بدولاراته .. لقد كان أمراً في منتهى الروعة أن تكون حرة ، دون معارضة أحد ، وأن تعيش داخل جزيرة الأحلام تلك !

تقدم واحد من المجموعة باقتراح قائلا :

- ما رأيكم في تناول العشاء معا ؟

وافقت المجموعة بأكملها على هذا الاقتراح ، تجاوز الجميع المطاعم باهظة الثمن ، حيث يكثر تجمع السائحين ، واتجهوا نحو بناء صغير يديره كوبيون .. لم يكن عليك أن تدفع أي مبلغ من المال ، قبل الدخول إلى هذا المطعم .. كان شباب «كي ويست» يعلمون تماما بإمكانية الحصول على وجبات خفيفة بأسعار معقولة.

استقبلهم أصحاب المطعم لدى دخولهم بكل حرارة ، وهما إثنان أخوة يقومان بإدارة هذا المطعم بمساعدة زوجتيهما وأطفالهما .

جلست «فران» بين «هانك» و«كيفين» وهما عضوان في

مجموعة الاوركسترا الصغيرة التي أنقذتها من العجز المادي .

كانت «فران» تعرفهما جيدا ، لأنهما قاما باستئجار غرفتين من عمتها ليزا... بدأ الحديث بينهم يعلو بأصوات الضحك ، في حين كان ذهبت «فران» في مكان آخر .. وما إن قُدّمت إليها الشوكة ، حتى تأملت صحنها مذهولة .. إنها لم تكن تشعر بالجوع.. ومع ذلك فإن شهيتها جيدة في هذا اليوم .. ولكن هناك خطرا يهدد وجودها ووجود أصدقائه دون أية رحمة .

ترى أين بإمكانهم الإقامة ، في حالة بيع منزل عمتها القديم؟ إذا لم تكن الإيجارات في «كي ويست» باهظة الثمن فقط ، بل أن أقل منزل يتطلب دفع مقدم لعدة أشهر على الأقل وفجأة توجه «كيفين» إليها بالحديث ، قاطعا عليها حلمها الكئيب قائلا :

- «فران» لقد حققت نجاحا باهرا هذا المساء ، وعليك أن تغني في الملاهي مساء ، عوضا عن عملك في دكان بيع الملابس ، وبذلك ستحصلين على أموال طائلة!

- هذا ممكن .. غالبا ما يقترحون على القيام بهذا العمل . ولكن .. لا تحبّذ عمتي أن أمضي أمسياتي داخل ملهى ليلي .

لم تكن هذه العبارة توضح إلا نصف الحقيقة فقط . إذ إن غضب عمتها لدى إبداء رغبتها العمل في ملاهي «كي ويست» الليلية مضى عليه عدة سنوات ، أي عندما كانت «فران» ما تزال مراهقة .. أما الآن ، فإن عمرها يقارب العشرين سنة ، وهي تشعر تماما بقدرتها على المضيّ في ظلمة بارات الجزيرة الليلية .. ولكن في الواقع ، يعود اعتذارها إلى سبب آخر ، إلا أنها لم تكن تشعر بأية رغبة في الحديث بهذا الموضوع مع أصدقائها . رفعت «فران» لتلاحظ وجود «بوب سيلفر» قائد اوركسترا «سيلفر ستريتجيد فاغرانت» . وهي من أفضل المجموعات في جزيرة «كي ويست» ، وتعمل في ملهى ليلي ذائع الصيب ، يدعى «بلاك بيغ» .

صرح «بوب سيلفر» قائلا :

– كيفن على حق .. إنك تغنين وكأنك مغنية محترفة حقا .. لِمَ لا تأتين معنا ؟ ستغادرنا «جينجر» خلال خمسة عشر يوما ، وسأجد نفسي دون عازف منفرد – إن ترك «جينجر» للعمل يعتبر بمثابة ضربة قاسية لفرقة «سيلفر ستريتجيد فاغرانت» فهي تتمتع بصوت جميل ..

وأخذ بوب يوضح :

– إنك تعلمين .. الصوت الجميل وحده لا يكفي للنجاح في هذه اللعبة .. وأنت ، تملكين جميع وسائل ومواهب هذه اللعبة .. فكري جيدا في الأمر ... !

أحست «فران» للحظات بالملل .. كانت نظرة «بوب» تذكرها بوضوح بما ينتظرها في حال الموافقة على القيام بالمشهد الذي يريده .. وأخيرا أجابت «فران» قائلة :

– سأفكر بالموضوع .

ثم أدارت انتباهها باتجاه الجالسين على الطاولة المجاورة .

تمتم «هانك» قائلا :

– هكذا إذن ، تريد السيدة «تود» بيع منزلها .. هذا أمر مؤسف حقا ! ..

عضت «فران» على شفتيها .. وبدأت مباشرة تقاسيم «هانك» قلقه .. حيث إن هناك إثني عشر شابا يقطنون منزل عمتها ، ويعانون نفس المشكلة ، ترى ألن تصبح هي أيضا بلا منزل ، ودون مأوى ؟ !

لكنها كانت تعلم ، بأنه لا يمكن حلّ المشكلة بطريقة الابتعاد عن بيع المنزل .

قاطعتهم «فران» فجأة خجلة من حدة كلامها قائلة :

– إن عمتي غير قادرة على الوقوف في وجه المصاريف الزائدة ، كما أن سقف المنزل الآن بحاجة إلى إعادة تصليح ! إضافة إلى وجوب ترميم الرسومات الخارجية و .. و ..

خفض أصدقاؤها رءوسهم مضطربين ، فهم يشعرون بمسئوليتهم من قريب أو بعيد عن المشاكل المادية التي تعاني منها السيدة «تود» .. إذ لو أنها كانت تقبض من مستأجريها أجوراً وفق الأسعار السائدة في الجزيرة ، ما تعرضت حتما لمثل هذه المشاكل.. إضافة إلى أن مستأجريها لم يكونوا مثابرين أيضاً على الدفع ! ..

تابعت «فران» كلامها ، بنبرة أقل حدّة :

– ثم إن عمتي «ليزا» وجدت أن «كي ويست» قد تغيرت حقا ، خلال السنوات الأخيرة ، وهي لم تعد تشعر بالراحة بوجود كل هذا الحشد من الناس ، وجميع هذه المحلات والمخازن والبارات .. إنها تتمنى العودة إلى بلد طفولتها للعيش هناك . كما تصرّ أختها وتلح عليها للقدوم إليها .

وأضافت «فران» بلهجة المعتذرة تقريبا قائلة :

– لقد أكد لها مشتري المنزل بأنه سيقدم لها مبلغا يكفيها للعيش حتى تصل إلى السن التي تمكنها من الاستفادة من تقاعد عمي .. هذا وقد توفي السيد «تود» منذ إثني عشر عاما مضت ، ولكن لم تكن أرملته تتمتع بحق الحصول على تقاعده قبل وصولها إلى سن الثانية والستين .. ولكنها نجحت حتى الآن في موازنة ميزانيتها تقريبا من خلال الأجور البسيطة التي تأخذها من المستأجرين الشباب الذين يقطنون عندها .

تردد «هانك» قليلا قبل أن يوجه السؤال إلى «فران» قائلا :

– إن السيدة «تود» عمتك ، ولكن ليس هناك صلة دم بينكما كما فهمت ؟

– في الواقع ، كان زوجها هو شقيق والدي .

ثم صمتت «فران» ، ولم تعد ببنت شفة .. إذ أنها مازالت حتى الآن – وبعد مرور كل هذه السنوات – تجد صعوبة كبيرة في لفظ هذه الكلمة : والدي .. تلك الكلمة التي تترك دوما في فمها طعماً مراً ! ..

ولكنها لم تكن تريد أن تبعث في نفوس أصدقائها الاعتقاد بأن عمتها تبنتها ، لأنه لم يكن لها والدان حقيقيان ، ثم سارعت إلى وضع النقاط على الحروف قائلة :

– في الحقيقة ، تريد عمتي «ليزا» أن أصحبها إلى «جورجي» ولكن – بكل صراحة – فإن هذا لا يناسبني أبدا !

سرت في بدنها قشعريرة .. فإن مجرد فكرة العودة لرؤية المدينة التي تسببت في تعاستها ، تجعلها مريضة ..

وهكذا أجبرت «فران» على العودة إلى أعماق ذكرياتها .. فماذا يعني لها الماضي بحق ؟

لقد توفى والدها منذ ما يقارب السبع سنوات .. وهي تعلم تماماً أنها أخطأت في الحكم عليه ، كما سبق لها وأخطأت في الحكم على والدتها ..

– صرّحت «فران» قائلة :

– هانك ، يبدو أننا نبحث عن إبرة في كومة قش دعنا نغيرّ مجرى الحديث ..

وما إن مضت خمس دقائق ، حتى ابتعد الجميع عن الحديث

عن السيدة «تود» ، وعن موضوع بيع المنزل .. وهذا ما تريده وتسعى إليه «فران» نفسها ..

قررت «فران» بعد الانتهاء من تناول العشاء ، الذهاب وحدها إلى المنزل عوضا عن مصاحبة واحدة من هذه المجموعات الصغيرة ..

مازال هذا المنزل القديم يُطل شامخا ، وسط ضوء القمر .. حيث غطى سواد الليل على حالته المتهدمه ، تاركة فقط سحره الجذاب ينبعث ..

أخذت «فران» تتأمل هذا المنزل وهي تتمتم في نفسها قائلة :

– قريبا جدا ، لن يكون هذا المنزل الجميل منزلي ..

صعدت «فران» درجات المدخل ، وهي مطرقة الرأس .. صوت ألواح الخشب يصرصر تحت أقدامها . تلك الضجة التي تعودت عليها زادت من تعاستها ..

لم تكن «فران» تريد أن تلاحظ عمتها ضيقها وحزنها ، لذا قامت برسم الابتسامة على وجهها قبل دخول الجزء من المنزل الذي تتقاسمه مع السيدة «تود» .

www.elromancia.com

– هذا أنا يا عمتي ليزا .

– «فران» ؟

بدت «ليزا تود» وهي في غرفة الجلوس ، كانت ترتدي قفطانا من القطن مزيناً بألوان زاهية .. في حين أنها رفعت شعرها الكستنائي إلى أعلى .. تساءلت «فران» من باب المزاح فيما كان بإمكان عمتها التكيف بسهولة مع العيش والحياة في مدينة صغيرة ، بعد أن أمضت هذه السنوات العديدة في «كي ويست» حيث الفراقة والفوضى هما السائدتان .

لاحظت «فران» حينئذ علائم المعاناة على وجه عمتها . سألتها بكل حيوية :

– مشاكل ؟

– تريدين أن تقولي ، كوارث ؟

رفعت السيدة «تود» يديها إلى السماء .

– لقد اتصلت بي أختي هاتفيا التو .. تصوري أنها وقعت من على السلم وكسر أعلى عظم فخذها !

رفعت رأسها وتابعت :

– في سنها ! تنزلق من على السلم وهي تريد أن تحرق عشا من الزنابير .. ربما كانت تسبب في إحراق المنزل بأكمله ! .. ولكن انتظري .. ليس هذا كل شيء ! إذا استدعتني السيدة «اليس» فقط بعد مرور خمس دقائق على الاتصال الهاتفي ، لتخبرني بأنها نجحت في التوصل إلى بيع المنزل ..

وارتمت السيدة «تود» على المقعد ، دون التوقف عن متابعة حديثها قائلة :

– تريد «ادنا» أن أذهب إليها بأسرع وقت ممكن . فهي متألمة جدا من الكسر الذي أصابها . ومن الضروري وجود أحد بقربها للعناية بها مباشرة بعد خروجها من المستشفى .. آه ! ما هذه الحكاية !

تقدمت «فران» خطوة باتجاه الكنبات الكبيرات المغطاة بقماش الكرتون ورجلاها لا يقويان على حملها أبداً .

في حين تابعت عمتها قائلة :

– هذا هو شيء كثير بالنسبة ليوم واحد ! ..

توجهت «فران» إليها قبل الجلوس لتقبلها قبلة بحنان وتقول :

www.elromancia.com

– هيا بنا ، لا تقلقي ! . إن كسور عظم الفخذ تعود للالتحام بشكل جيد .

أجبرت «فران» نفسها على رسم الابتسامة على وجهها وتابعت تقول :

بما أنه تم بيع المنزل ، فلم يعد هناك أي شيء يمنعك من الذهاب .. أما بالنسبة للسيدة «اليس» فإنها لن تطلب أكثر من إملاء الاستمارات والعقود ، إنني متأكدة من ذلك .

نظرت إليها عمتها مقطبة الحاجبين :

– وأنت ؟

– آه ، لا تقلقي بشأني ، كل شيء سيسير على أحسن ما يرام !

– لِمَ لا تريدين أن تأتي معي إلى «جورجي» ؟ إنك لا تكسبين هنا المال الذي يكفي حاجاتك بشكل جيد .. الحياة هنا باهظة ؟

– لقد تقدَّموا لي باقتراح إبرام عقد مع مجموعة ...

– تريدين القول .. في أحد الملاهي الليلية ؟

– عمتي ليزا ! .. لا تنظري لي هكذا .. بلغت الآن من العمر

العشرين عاماً ، وأصبحت كبيرة بما فيه الكفاية لِتدَبر أموري وحدي !

– هذا صحيح يا «فران» ولكن .. ولكن هذا لا يعجبني كثيرا .. بل لا يعجبني على الإطلاق !

– إنني أعلم ذلك ياعمتي .. ومع ذلك ، فليس هناك أي حل آخر .. إنك مخطئة في التألم من أجلي .. أعيد وأكرر عليك .. إنني لست صغيرة ..

– هـ .... م !

– والآن ، ماذا لو تحدثيني عن المشتري لهذا المنزل ؟

– لم أره حتى الآن . ولكن يمكنني – على الأقل – أن أخبرك بأمر . إنه رجل غني جدا .. تخيلي ، أنه اشترى حتى الآن ما يزيد على الخمسة منازل في «كي ويست» وهو ...

قاطعتها «فران» مندهشة :

– خمسة منازل . يا إلهي ! ماذا يريد أن يفعل بها ؟ !! ..

– إنه يريد أن يعيد ترميمها ومن ثم بيعها .

اجتاحت «فران» المرارة والأسى :

www.elromancia.com

- إذن ، فهو يريدها فقط .. من أجل المال ؟ إنه حتى لن يقطن هنا ؟ .. آه ، حقاً ليس هناك عدل يا عمتي .. هذا أمر يثير الغضب والسخط

♥ ♥ ♥

الفصل الثاني

كانت «فران» تجلس على الشاطىء ممددة وهي تتأمل الأفق دون النظر إليه بشكل فعلي ..

في حين غادرت السيدة «تود» جزيرة «كي ويست» في صباح نفس اليوم ، وهي قلقة حول موضوع ترك ابنة أخيها في هذا المنزل الكبير الذي لن تعيش فيه بعد الآن إلا فترة قليلة ..

ظلت «فران» تردد على مسامع عمتها «ليزا» العبارة التالية أكثر من مئة مرة :

- عمتي «ليزا» إنك تعلمين جيدا أن بإمكانك الثقة بي وفي إمكانياتي !

- أعلم ذلك يا عزيزتي ، ولكن ... ما يقلقني هو بقاؤك هنا وحدك ، فتاة وحيدة وسط جميع هؤلاء الشبان !

- ولكنك تعلمين تماما أنهم يعتبرونني جميعا تقريبا بمثابة أخت لهم ! يبدو لي أن هذا واضح بالنسبة لك تماما ، أليس كذلك ؟

www.elromancia.com

اعتادت «فران» الخروج مع أصدقائها دوما ، بشكل مجموعات ، أي أنها لم تُشاهد إطلاقا مع شاباً لوحدها مرتين متتاليتين .. وهذا ما زاد من تعقيد الأمور بالنسبة لـ «ليزا تود» .. ، التي كانت ترى ضرورة ظهور فتاة في العشرين من عمرها بصورة أكثر «ودية» .

عادت عمتها إلى تذكيرها ، مع قبلة الوداع إلى أن هناك منزلا يرحب بقدومها إليه في أي وقت تريد ، وإلى أنها ستلقى الترحيب في «جورجي» .

– لا تترددي أبدا ، عند شعورك بضرورة مغادرة هذا المكان ، ما عليك فقط إلا أن تحزمي حقائبك وتأتي عندي ..

– شكرا ، يا عمتي ..

كانت «فران» مجبرة إلى إخفاء الخوف الذي ينتابها من مجرد رؤية المدينة التي شهدت السنوات الثلاث عشرة من بداية حياتها ، إلى جانب والدها ، وداخل منزل صغير حزين ..

حيث إنها لم تتوقف هنا – منذ الصباح وحتى المساء – عن سماع تذمر وشكوى والدها من الحياة ومن النساء ، ومنها بشكل

خاص .. لذا فقد قطعت «فران» عهدا على نفسها ، بتكليف مخبر خاص ، عندما تصبح كبيرة ، للكشف عما آلت إليه والدتها ، ولمعرفة السبب في تركها لمنزلها وزوجها وابنتها .. إذ إنها غادرت المنزل وابنتها «فران» مازالت طفلة رضيعة ، دون أن تترك حتى أي تفسير لتصرفها .. لذا فقد أقسمت «فران» على أن تعرف الدافع وراء هذا العمل الذي قامت به والدتها ، لاقتناعها بوجود سبب حقيقي وراء كل هذا ، وعلى أن تحاول أن تعيد الأمور إلى مجراها الطبيعي مع والدتها .. ولكن بدأت الحلول تتلاشى أمامها رويداً رويداً ، منذ أن انتقلت للعيش في «كي ويست» ، تلك الجزيرة التي وجدت فيها السلام والأمن للروح والقلب .. وأحست هنا وكأنها في بلدها الأصلي ، وغمرتها السعادة أكثر مما كانت في «جورجي» ، مكان ولادتها ..

ارتفع صوتها وهي تقول :

– اوه ، هذا ليس صحيحا !

ثم جلست «فران» على الشاطىء وحولها الشبان ممددين وهم في حالة سبات ..

أضافت «فران» بلهجة حادة قاتلة :

www.elromancia.com

– ليس لديه الحق في إبعادنا خارج المنزل .

كانت «فران» تكره – بغريزتها – السيد «جوناثان تالبوت» هذا القادم من مقاطعة «ماين» لشراء خمسة منازل قديمة «كونش» بهدف واحد هو جني الفائدة المادية .

و«كونش» .. كما هو واضح ، هو أسم هذه المنازل زهرية اللون ، وهي تدل أيضا ، على سكان الجزيرة ، وعموما ، على المهندس المعماري لهذه المنازل الأنيقة التي تمثل «نهاية القرن» ..

هذا وقد تم تحويل اثنين من هذه المنزال إلى بانسيونين عائليين ، في حين تم تقسيم المنزل الثالث إلى شقق سكنية .. أما المنزلان الباقيان – من بينهما منزل السيدة «تود» – فإنهما يأويان الشباب المفلسين ماديا ..

لقد سبق للسيدة «اليس» صاحبة الوكالة العقارية التي تمثل مصالح السيد «تالبوت» أن أعطت مهلة لجميع القاطنين في هذه المنازل ، وما أن مضى ما يقارب الشهر ، حتى كان ثلاثون شخصا يتواجدون في الشارع . أحست «فران» لدى علمها بهذا الأمر بصفعة على وجهها .. لذا كررت بكل قوة وتأكيد :

– هذا ليس عدلا .

– ولكنه يا «فران» اشترى هذه المنازل ! وهو الآن المالك الحقيقي لها .

– إن بائع الفحم معلم عنده .

– لا يمكننا عمل شيء تجاه هذا الأمر .

وكأن الجميع قد أصيبوا بخيبة الأمل ! .. وهكذا لم يعد هناك أحد يريد إعادة المحاولة ؟

في حين قدمت «فران» اقتراحها قائلة :

– لو أن أحد يحاول شرح الحالة التي نعاني منها لهذا المشتري فلربما أدرك الأمر ، وربما وافق على إعطائنا مهلة بسيطة . وافق أصدقاؤها على هذا الكلام ، ورفعوا أعناقهم تعبيرا عن سرورهم ..

– حسنا ! سأذهب إليه بنفسي ! على الأقل ، فإن المحاولة لن تكلفنا شيئا ..

أثار قرار «فران» هذا دهشة الشبان الذين يحيطون بها ، ولم يدركوا السبب الذي يدفعها إلى تبني هذا الموضوع ..

www.elromancia.com

في حين كانت المشكلة بالنسبة لها تبدو - في حقيقة الأمر - أشد قساوة .. إذ لم يكن هناك أي عائق في توصل فتاة شابة وجميلة إلى إيجاد مكان تأوي إليه وتحس فيه بمنتهى الراحة والسرور .. يكفيها فقط الإشارة بأصبعها حتى تتناثر العروض بين أيديها .. ولكن كان هذا الحل بالنسبة لها خارج المشكلة تماما ..

وهكذا لم يعد هناك أي سبب أمامها للبقاء على شاطىء البحر ، خاصة بعد اتخاذها قرار الذهاب لمقابلة السيد «جوناثان تالبوت» في حال انه مازال مقيما في جزيرة «كي ويست» .

ركبت «فران» دراجتها الهوائية واتجهت نحو المدينة ، وهي تعبر الشوارع الواسعة للحي المخصص للسكن حيث تزدان الجدران بألوان نبات الجُهنميَّة البنفسجي الغامض والفاتح ، وأوراق نبات الخبيزّة بأزهارها الجميلة ، إنها روعة النباتات الغريبة .. في حين كانت السماء زرقاء صافية ، مثل البحر ، كما يقولون إننا الآن في شهر كانون الثاني ... !

ترى هل يوجد في هذا العالم مكان آخر تتمكن فيه «فران» من الشعور بهذا الانسجام والتوافق مع نفسها ، من خلال هذه الطبيعة ، والإحساس بمثل هذه الحرية ..

وفجأة عاد صوت والدها إلى ذاكرتها :

- إنك لست إلا إمرأة ، ومثلك مثل باقي النساء ، لن تجلبي إلا المتاعب والسوء ! ربما لم يظهر هذا الأمر حتى الآن .. ولكن حتما ستصبحين - فيما بعد - مثلك مثل الأخريات من بنات جنسك ! ..

كان عليها المرور وهي تائهة بين ذكرياتها ، أمام المنزل الذي لم تعد تمتلكه عمتها .. توقفت «فران» أمام هذا المنزل وهي تمسح دموعها من على وجنتيها لتتأمل ذلك المكان الذي أمضت فيه أجمل سبع سنوات في حياتها . كان هناك الشرفة التابعة للطابق الثاني من هذا البناء مهددة بالانهيار . والرسوم الأمامية بحاجة إلى ترميم في حين أن معظم ألواح الزجاج والنوافذ مكسورة . ومع ذلك ، فإن «فران» لا تزال تعشق هذا المنزل .. منزلها ، الذي تحس بالواجب تجاهه في مقابلة «جوناثان تالبوت» ومحاولة إقناعه بما يدور في رأسها . ترى أين كان بإمكانه الإقامة ، في حال تواجده المستمر داخل الجزيرة ، إلا في واحد من هذين القصرين - «بير هاوس» أو «كازامارينا» ؟ قامت «فران» مباشرة باتصال هاتفي مع «كازامارينا» وسألت عاملة القسم قائلة :

- أيمكنني التحدث مع السيد «جوناثان تالبوت»

- لحظة من فضلك .. من يريده ؟

ترددت «فران» لحظة .. ماذا لو رفض «جوناثان تالبوت» التحدث معها بحجة أنه لا يعرفها ؟

كررت عاملة القسم بإصرار :

- من المتحدث ؟ من يريده ؟

- أجابت «فران» أخيرا :

- «فرانسين برايت»

وما أن مرت بضع دقائق حتى أصغت «فران» إلى صوت رجل يتحدث على السماعة الأخرى ..

- نعم .. ماذا تريدين يا سيدة .. «برايت» ؟

لقد كانت هذه الكلمات البسيطة كفيلة بزعزعة ثقة «فران» .. فقد تصورت أن «جوناثان تالبوت» لم يكن رجلا يعيش حياة بسيطة ..

- سيدي إنني أود أن أتحدث معك حول موضوع المنازل التي اشتريتها في هذه الجزيرة .. هناك واحد منها يعود لعمتي السيدة «تود»

إنها متأكدة تماما من أنه سيرد بكلمة «لا».

- حسنا ، يمكنني استقبالك بعد ظهر هذا اليوم ، سنتقابل في بهو الفندق . أتسمعينني ؟

لم تجب «فران» فورا على السؤال .. إذ يبدو أن كل شيء يمر بسرعة كبيرة بالنسبة لها .. فهي لم تدخل هذا الفندق الضخم في حياتها أبدا وتخشى ألا يأتي لمقابلتها .. ولكن ألا تتمنى هي نفسها التحدث مع المالك الجديد ؟

وأخيرا أجابت قائلة :

- مفهوم .. سأكون في الـ «كازامارينا» بعد ساعة .. ثم أغلقت السماعة بسعة خشية تغيير رأيه ..

أخذت «فران» حماما بارداً ، على أمل أن تريح أعصابها ، ولكن لم يكن للمياه الباردة أي تأثير في تهدئة أعصابها ، بل على العكس ، أخذت أعصابها تزداد توترا مع اقتراب الموعد واحتمال عدم مجيئه إلى المكان يقلقها ..

بدأت تفتش في خزانتها عن الثوب الذي سترتديه ، حتى وقع اختيارها على بلوزة قطنية وتنورة عريضة مزهرة باللونين الزهري

والبنفسجي وزينت أصابعها - كعادتها - بخواتم في كل أصبع - وهي خواتم مصنوعة من الفضة ومن الأعمال الشعبية ، مزينة بأحجار الزمرد والياقوت .. لم تكن «فران» بمنتهى الأناقة ، مع رفع شعرها المقسوم إلى ضفيرتين وحذائها الذي يُبرز أصابع قدميها ، ولكنها تحس بالرضا عن نفسها .. وهذا هو الأساس .

اصطفت السيارات الفخمة داخل جراج الفندق .. وها هو أحد بوابي الفندق بلباسه الرسمي ذهبي اللون ، يخرج الحقائب الجلدية من صندوق سيارة لموزين ضخمة .

كانت الأبواب الزجاجية للفندق تفتح بشكل تلقائي أمام «فران» التي دخلت البهو الواسع المزين بالزخارف والنقوش .

ترددت «فران» في الدخول وهي ترتعش من الخجل ..

كانت النباتات الخضراء تتدلى من أعلى النوافذ المتواجدة في آخر البهو الرخامي ، والمطلة على الحديقة الاستوائية ، لتصل إلى الشاطىء الرملي الأبيض ، حيث تداعب الأمواج بكل هدوء .

في حين يُلاحظ على الجهة اليسارية من البهو وجود زبائن الـ «كازامارينا» الأغنياء ، وهم يرتشفون المشروبات المثلجة متحلقين

حول مسبح واسع ذات أبعاد أولمبية ..

فكرت «فران» إن لدي شعورا بأنني أنظر إلى بطاقة بريدية ، إذن كل شيء يبدو أمامي جميلا ليصبح حقيقة .

يبدو لها ألا أحد يراها .. إذ لم ينتبه إليها أحدٌ أبداً . وتمتمت قائلة بكل مرارة أنه يبدو عليها بكل تأكيد مظهر الفتاة البسيطة الفقيرة التي تريد أن تطل بأنفها من نوافذ المنزل الصغير الذي يقطنه الأطفال الأغنياء ويتناولون فيه المثلجات والحلوى ..

كان تنفيذ فكرتها في المجيء إلى هذا المكان أمراً جنونياً ! إذ انها لم تتوصل إلى أي شيء .. فقد فقدت مهمتها مقدما . ودفعتها سذاجتها إلى تصوّر إمكانية إصغاء رجل اعتاد أن يعيش في منزل بهذه الرفاهية .

ارتكزت «فران» على قدميها مستعدة للهرب من هذا المكان ، ولكنها سمعت فجأة صوت يناديها من الداخل ويوقفها قائلا :

- الآنسة «برايت» أليس كذلك ؟

توقفت «فران» في مكانها ، ثم أدارت وجهها بكل بطء وباتجاه من يناديها .. ازدادات عيناها تحديقا من هول المفاجأة غير

المنتظرة لدى تعرُّفها على الرجل الذي سبق ورأته منذ بضعة أيام ، إنه ذاك الذي دس ورقة العشرين دولارا في صدرها!..

سألته «فران» باستغراب ؟ :

– السيد «جوناثان تالبوت» أليس كذلك ؟ !

– أتمنى ألا أكون قد سببت لك أي انزعاج ..

امسكها تالبوت من مرفقها ليدخله في ذراعه .. كان الطقس رطبا في هذه القاعة شبه الخالية ، مع بداية مساء ذلك اليوم ، والسبب وجود هواء التكييف ..

جلست «فران» على واحدة من الكنبات المريحة ، في حين اتخذ «جوناثان تالبوت» مكانه تجاهها . حيث التفت باتجاه البار ، ليلفت نظر النادل إليه ، مما أفاد «فران» في التحقق من ملامحه .. كان الشعر الأسود يحيط بوجهه الواضح الملامح .. حيث تبرز ذقنه العنيدة وفمه الذي ترتسم عليه شبه ابتسامة سخرية .. وقد قدَّرت «فران» أن «جوناثان» لم يتجاوز الثلاثين عاما .. لم تكن تنتظر أبدا أنها ستتحدث مع رجل في مقتبل العمر .

ترى لِمَ لَمْ تقم عمتها بوصف مشتري المنزل لها ؟ والحق أنه

كان لديها واجبات كثيرة تريد إنهاءها قبل مغادرتها ! إضافة إلى قيام «فران» بتغيير الحديث في كل مرة تحدثها فيها عمتها عن المشتري .. إذ كان الخوض في هذا الموضوع أمراً عسيراً وصعباً ..

أدار «جوناثان تالبوت» وجهه فجأة نحوها ، أثناء تفحصها له ، مما فاجأها وأربكها ، وظلت صامتة لبضع لحظات . أحست «فران» أن هذا الرجل يتمتع بقدرة غريبة على دفعها للاضطراب والارتباك والارتعاش حتى أعمق أعماقها .. إذ إنها وهي تشعر بالقرب منه بإنوثتها .. فقد سبق لها وأحست هذا الإحساس الغريب أثناء وجودها على رصيف المرفأ ، ولكنها لم تجد له أي تبرير أو تفسير ..

يبدو أن الجو من حولها قد أضيء فجأة بالكهرباء ..

وتوصلت «فران» أخيرا إلى القول :

– إنني – إنني لا أريد أن أضيّع وقتك يا سيدي .. فأنت مشغول حتماً و ..

توقفت عن الكلام لدى مثول النادل بينهما ، يسألهما عما يريدان تناوله من شراب .

أجابت «فران» بعصبية شديدة :

- بالنسبة لي لا أريد شيئا ، شكرا . إنني لا أشرب الكحول أبدا ..

توجه «جوناثان تالبوت» إلى النادل قائلا :

قدّم للآنسة كأسا من عصير الفواكه اللذيذة .. أما بالنسبة لي ، أريد كأسا من الويسكي مع الثلج ..

فتحت «فران» فمها لتبدي رفضها .. ولكنه قاطع احتجاجها بحركة صغيرة من يده ..

وأخيرا بدأت «فران» - بعد ذهاب النادل - بالخوض في حديث مطوّل ممل وغير متواصل ..

أتمت «فران» كلامها قائلة :

- إن هناك ثلاثين إنسانا سيصبحون في الشارع ، في حال إجبارنا على مغادرة المنزل ..

نظرت «فران» إليه محدّقة ، لتحاول التقاط ردة الفعل لديه ، ترى هل سيتأثر بندائها ؟ كان من الصعب الكشف عن هذا الأمر باعتبار أن وجهه ظلّ هادئا دون أي تغيير :

- حسنا وما هو المطلوب مني يا آنسة ؟

ولكن ها هو النادل يعود - لحسن الحظ - ومعه المشروبات المطلوبة ، مما أبعدها عن الإجابة مباشرة . لقد بعث هذا السؤال الذهول والمفاجأة لديها .. حقا ، ماذا يمكنني أن أطلب منه ؟

أخفت «فران» وجهها في كأس الشراب الذي رفعته لتحتسي منه بضع قطرات ..

تمتمت قائلة ودون تفكير :

- هم .. طعمه لذيذ !

ظهر وميض من التسامح المسلي في حدقات عيون «جوناثان تالبوت» ولكن لم يكن هذا بالوقت المناسب لتتصرف فيه وكأنها فتاة مراهقة صغيرة !

لذا انتصبت «فران» في جلستها وحاولت أن تتكلم بجدية أكثر :

- ربما يكون بإمكانك أن تجري الإصلاحات الضرورية وتزيد من قيمة الإيجارات ، ولكن اترك لنا مهلة على سبيل المثال ، عام واحد؟

www.elromancia.com

– تعلمين تماما أكثر مني أن هذا ليس هو الحل . إذ إن المشكلة ستبقى كما هي ، بعد مرور عام كامل إضافة إلى أن الأضرار في المنازل الـ «كونش» ستزداد ..

أجابت «فران» بحدة متناسية أنها اتخذت عهدا على نفسها في عدم إظهار غضبها:

– هذا ليس صحيحاً ! .. ليس لديك الحق في طرد الناس .

هذا .. هذا أمر فاضح !

وبدأت الدموع تلمع في عينيها ، إذ علمت تماما أن مهمتها قد باءت بالفشل .. لذا نسيت كل تحذير وكل ضبط للأعصاب وحذر وتوجهت إليه قائلة :

– لأنك غني ، فـ .....

قاطعها «جوناثان تالبوت» ليجيب باختصار :

– سيادة محامي الدفاع ، يبدو لي أن وجهة نظرك تلك تدل على أنانية واضحة، يا آنستي .. بالنسبة لي فإنني أرى الأمور بطريقة مختلفة تماما .. إذ ان الفضيحة ستكون في رأيي في حال ترك هذه المنازل على ما هي عليه من هدم وخراب ..

وما هي إلا لحظات ، حتى كانت دمعتان تنهمران ببطء على خدي «فران» وتلتمعان عليهما مما دفعها إلى عضّ شفتيها لمنع دموعها من السقوط ..

تنفست «فران» نفسا عميقا وقالت بصوت تلوحه مشاعر التأثر :

– من المؤسف حتى محاولة شرح أي شيء لرجل مثلك !

عندئذ امتعض وجه «جوناثان تالبوت» ، ولكنها لن تعر ذلك أي اهتمام . بل إنها حتى لم تلاحظ نظرات التحذير والتهديد المرتسمة في نظرة عينيه الرماديتين ..

– سيد «تالبوت» إنك لم تمر في يوم من الأيام بفترة الشباب ! .. إنك لا تعلم حتما ماذا يعني أن تكون حراً حقاً وأن تحس بأن هذا العالم يخصك ! إن هذا أمر محزن حقاً وأنا أرثي لك من كل قلبي .. لأنني وأصدقائي نمتلك شيئا لا يمكنك شراؤه..

انتصبت «فران» واقفة بكل فخر :

– ثق إنني لا أتمنى أن أكون مكانك ، لأي سبب في العالم ! وإنني ..

www.elromancia.com

– آه «جوناثان» ، ها أنذا هنا ! لقد بحثت عنك في كل مكان..

لم تكن «فران» قد لاحظت ، وهي مشدودة في كلامها ، اقتراب المرأة الجميلة منهما ، والتي كانت تمسك بذراع «تالبوت» وهما على رصيف المرفأ .

كان مكياجها كاملا ، ومتناسبا مع ملابسها العائدة إلى اسم واحدة من دور الأزياء .

وتوضح النظرة التي ألقتها على «فران» بأنها كافية لأن تتعرف عليها .

قالت بلهجة عذبة يفضحها لمعان عينيها المزيف :

– هل أزعجتكَ ؟

بدت علامات الغضب ظاهرة على جبين «جوناثان تالبوت» .

هدأت «فران» من روعها ، وتأكد لها عدم إمكانية الوصول إلى أي اتفاق ! كما اقتنعت تماما مع وصول هذه المرأة الشابة المتعجرفة بوجود هوّة عميقة بينها وبين هذه النوعيات من الناس إذ يعيش «جوناثان تالبوت» وزوجته ضمن عالم مختلف تماما عن عالمها ، ويبدو كما لو أن هناك عشرات من السنين الضوئية تفصل بينهم .

وتأكد لها أيضا استحالة التفاهم معهما .. ولكنها أدركت ذلك متأخرة جدا ، مما جعلها تتعرض للسخرية من خلال مجيئها إلى هنا ..

مسحت «فران» دموعها ودفعت كرسيها بعيداً ثم سارت باتجاه الباب مسرعة ، وكأن أحدا يلاحقها .

♥ ♥ ♥

www.elromancia.com

الفصل الثالث

قامت «فران» في اليوم التالي ، بإطلاع أصدقائها على فشل مهمتها ، فلم يوجه أحد منهم سؤالا عليها ، وأدركت عدم قناعتهم مسبقا ، بتحقيق أي نجاح ..

لم يكن الشباب المتوافدون على «كي ويست» من النوع الذي يشتكي أو ذاك الذي يبحث عن تغيير العالم .. يطالبون فقط بالاستفادة مما يحصل يوميا ، دون طرح الكثير من الأسئلة ودون التفكير في المستقبل وعلي وجه الخصوص في الغد!..

كان الرمل شديد الحرارة والمياه رطبة والشمس تلمع يوميا على هذه الجزيرة الاستوائية حيث يصل أعمار هؤلاء الشباب إلى العشرين عاما .. ويشعرون بحرية كاملة دون تحمّلهم لأعباء أية مسئولية .. ماذا يطلبون أيضا ؟ !

كانت «فران» تقاسمهم هذه الفلسفة ، ولكن يبدو في هذا اليوم وضوح ظل كل ما يحيط بها .

راود «فران» شعور بزوال ما كان يشكّل حياتها حتى تلك اللحظة .. فهي لا تعلم ما ستتعلق به .. لذا لن تكون الأمور - من الآن فصاعدا - كما كانت عليه سابقا ..

غادرت «فران» الشاطىء بوقت مبكر جدا عما اعتادت عليه في الأيام السابقة ، فقد راودتها الرغبة في الكتابة إلى عمتها لتخبرها بأن كل الأمور تسير على ما يرام ، رغم عدم صحة هذا الكلام .. في حين أنها ستحتفظ بذكرى لقائها السيء مع «جوناثان تالبوت» .. ولكنها أحسنت ما فعلت ، فهي لن تتوصل أبدا إلى نزع هذه اللحظات المؤلمة من أفكارها .. ركبت «فران» دراجتها الهوائية على عجل ، دون أن يتاح لها الوقت لضفر شعرها ، مما جعل شعرها الأشقر الذهبي يطير مع نسمات الهواء العليل . ولم تكن ترتدي إلا الشورت العادي ويفوح منها لفحات روائح عطر جميل والتفتت «فران» إلى ارتداء بنطلونها الجينز القديم قبل ركوبها دراجتها لم تنتبه «فران» أثناء مرورها أمام المنزل القديم ، إلى وجود مجموعة صغيرة من الناس تقف أمامه ، ولكن ما إن اقتربت من المنزل حتى تعرفت على المالك الجديد ..

ترى ماذا يفعل هذا الرجل ؟ لقد تم بالتأكيد توقيع جميع

الأوراق .. ولكن نصت العقود على إعطاء المستأجرين القاطنين فيه مهلة شهر كامل لمغادرة المكان ! .. توقفت «فران» بدراجتها أمام الأشخاص الثلاثة الذين يتحدثون بعصبية .. إذ كان هناك السيدة «اليس» ، مالكة وكالة العقارات ورجل لم تعرفه «فران» إضافة إلى «جوناثان تالبوت» نفسه ..

تجاهلت «فران» معرفتها بالرجل الأخير ، وابتسمت في وجه السيدة اليس :

– صباح الخير يا سيدتي !

نظر الرجل المجهول الذي لم تعرفه نظرة تأمل وسمعته وهو يتمتم شفتيه قائلا :

– إنها رائعة .

لم يكن هذا الشاب المجهول أكبر من «فران» سنا ، ولكنه يتمتع بجسم قوي وضخم .. إضافة إلى وجود النظارات على عينيه ، التي توحي بأنه طالب جامعي ، ردت السيدة «اليس» قائلة :

– إنني مسرورة بأن أراك اليوم يا عزيزتي !

ولكن بدا عليها عدم تمكنها تذكر اسم «فران» .

قامت السيدة «اليس» بعملية التعريف :

– هل هما السيدان «بينغهام» ، «تالبوت» والسيد «تالبوت» المالك الجديد لمنزل عمتك . في حين أن السيد «بينغهام» هو المهندس المعماري . وهو الذي سيدير عمليات الترميم ..

اقترب السيد «بينغهام» خطوة باتجاه «فران» وقال :

– إنني سعيد جدا بمعرفتك ....

بدا على وجهه التساؤل ، وتذكرت «فران» بأن السيدة «اليس» لم تعرفهما على اسمها ..

لذا استدركت قائلة :

– «فران برايت» ، أي فرانسين ، ولكن الجميع ينادونني بـ«فران»

بدا لها المهندس الشاب بمنتهى اللباقة ، وشعرت «فران» بالأسف في أنه لم يكن مالك منازل الـ«كونش» القديمة ، عوضا عن السيد «جوناثان تالبوت» هذا الذي ينظر إليها نظرة خالية من أي تعبير .. التفتت السيدة «اليس» نحوها قائلة :

– يأمل السيدان «تالبوت» و«بينغهام» زيارة المنزل مما يتيح المجال أمام «بينغهام» للبدء في رسم مخططات مشاريعه .. ولكن للأسف مازالت المنازل مشغولة بالقاطنين داخلها ، وقد يكون من الأفضل لو أن واحدا من الـ ...اوه ... المستأجرين يكون حاضرا .

وهكذا أصبح من الواضح أنها تشير بذلك إلى أن حق «فران» في هذا الأمر لا يزيدا أبدا عن حقوق غيرها .. حتى ولو أنها تتمتع بميزة إمتلاك عمتها السابق لهذا المنزل .. بدا على المهندس المعماري بعض الندم والتأسف ، في حين ظهر الإزعاج على وجه «جوناثان تالبوت» .. إذ إنه لم يعتد إضاعة وقته الثمين في أحاديث تافهة ..

توجهت إليهما «فران» قائلة بلهجة ودية :

– ادخلا إذن أرجوكما ..

اسندت «فران» دراجتها العادية إلى درابزين الحديقة ، ثم فتحت الباب بالمفتاح ، وكررت بصوت أعلى :

– يمكنكم الدخول ..

لم يكن لديها أي هدف في إطلاع زوارها على جميع أنحاء

المنزل إذ قامت السيدة «اليس» بهذه المهمة .

– «آنسة برايت» هل بإمكانك مرافقتنا في جولتنا هذه ؟

ولكن أوقفها صوت «تالبوت» الحاد حيث التقت نظراتهما معاً . وبدا وجهها الجميل محدد القسمات .. واعتقدت للحظة أنها كشفت النقاب عن لمعان في نظرته .

همّت «فران» بالكلام ، لتصرح بعدم وجود أية مشكلة ، ولكن استعجلت السيدة «اليس» في التدخل بمقاطعة :

– ولكن أجل ، هذه فكرة جيدة ! إذ يمكنني بذلك إخبار عمتك، عندما أحدثها هاتفيا هذا المساء ، عن مدى تعاونك معنا ..

– هل ستتصلين هاتفيا بعمتي هذا المساء ؟

– أجل . بقي هناك بعض التفاصيل يجب مناقشتها ..

كان بيع هذا المنزل أمراً بمنتهى الأهمية بالنسبة لـ «ليز تود» .. إذ لم يكن بإمكان «فران» أن تسمح لنفسها بمعاملة صاحبة الوكالة وزبونها الثري معاملة سيئة ردت بسرعة :

– هذا حسن جدا .

دعت «فران» زوارها الثلاثة لاتباعها في مشاهدة غرفة تلو

www.elromancia.com

غرفة ، مع تجنب رفع نظرها في وجه «جوناثان تالبوت» وكانت غرف الشبان المستأجرين في هذا المنزل بحالة فوضى تامة مما جعلها تحس بالخجل ، في كل مرة تفتح فيها باب غرفة جديدة ..

لم تكن فران تصغى لحديثهم ، الذي يبدو معقداً ، بالنسبة لها. إذ إنها لم تهتم أبدا في حياتها بالمسائل المتعلقة بإعادة ترميم المنازل القديمة ..

كان التوتر ظاهرا على وجه «فران» لدرجة أنها تصاب بالارتعاش في كل مرة يرتفع فيها صوت «جوناثان تالبوت» الأجش ، إضافة إلى محاولتها البقاء بعيدة عنه .

وصل غضب وسخط «فران» أوجهما لدى قيام السيدة «اليس» بدخول القسم من المنزل الذي ظلت تتقاسمه مع عمتها مدة سبع سنوات ، حيث انتبهت من خلال نظرات زوارها إلى الحالة السيئة التي صار إليها أثاث المنزل وسجاده المهتري ، وتأسفت لهم عن عدم قيامها بترتيب المنزل خلال فترة الصباح ولكنها شكرت السماء التي أتاحت أمامها المجال لترتيب سريرها وغرفتها قبل ذهابها إلى الشاطىء !

وأخيرا انتهت الجولة التفقدية ، حيث توجهت «اليس» بالشكر الحار لـ«فران» في حين تقدم السيد «بينغهام» وصافحها معبرا عن مدى شعوره بالسعادة للتعرف عليها ..

أما السيد «جوناثان تالبوت» فقد ظل بعيدا ، دون أن ينبس بأية كلمة يتأمل غرفة الجلوس المتواضعة ويداه في جيبه ..

انفجرت «فران» عند تذكرها بأن هذا الرجل الواقف أمامها لا يمتلك جدران المنزل فقط ، بل يتعدى إلى ما يحتويه هذا المنزل من أثاث قائلة :

– سيد «تالبوت» لا تقلق أبدا ! لن آخذ معي أي شيء لدى مغادرتي المنزل ! يمكنك الكشف عن ذلك ..

– لا تترددي أبدا في أخذ ما هو ضروري لك .. إن الأثاث لايهمني أبدا ، حيث انني سأبيع ما يتبقى بالمزاد العلني .

رأت السيدة «اليس» – عندئذ – من واجبها التدخل خاصة بعد إصابتها بالمفاجأة من رد فعل «فران» غير المنتظر لذا توجهت بالحديث قائلة :

– لقد قدّم السيد تالبوت خدمة كبيرة لعمتك لدى موافقته على شراء الأثاث الذي لا تبغي حمله معها .

التفت السيد «تالبوت» نحو صديقيه قائلا :

– إنني أرغب في محادثة الآنسة «برايت» على انفراد ، إذا لم يكن لديكما مانع؟

ترى ماذا بإمكانه أن يقول لها ؟ ربما كلام لا ترغب به .. إذ لم يكن لدى «فران» أية رغبة في التحدث على انفراد مع هذا الرجل ، ولكن فات أوان التفكير ، فقد انسحب كل من السيدة «اليس» والسيد «بينغهام» وتركوهما وحدهما .

ساد الصمت المكان لفترة .. أراد السيد «جوناثان تالبوت» إدخال يديه في جيبه في حين لم تستطع «فران» التي كانت تتحاش النظر إليه ، أن تمنع نفسها من ملاحظة العضلات القوية التي تظهر من خلال ثنية البنطال .

سألها على الفور :

– هل لديك ارتباط هذا المساء ؟

– لو أنني ... ماذا ؟

– لقد حاولت عدة مرات الاتصال بك هاتفيا ، ولكنني لم أجدك .. إذ إننا – على ما تذكرين – تركنا حديثنا معلقا دون إتمام .

أحست «فران» بالرعب يجتاحها ، وهي تقف مذهولة ، أجابت بصوت مرتفع :

– سيد «تالبوت» ليس هناك أي حديث بيننا ، سيكون منزلك خاليا في الوقت المحدد . ماذا تريد أكثر من ذلك ؟

– لقد وافقت يوم أمس على التحدث معك ، دون حتى معرفة شخصك ، وعليك من جهتك أن تبذلي معي بعض الجهد

لا إنها لاتريد مقابلته هذا المساء .. مهما كان الثمن !

ولكن كانت جملة الرفض تدور على لسانها في حين اعتبر السيد «تالبوت» صمتها بمثابة موافقة على كلامه ، لذا أصرّ قائلا :

– حسنا ! .. سأمر بعد ساعتين إلى هناك لآخذك .

– إنني أسفة ، هذا أمر مستحيل .

– لماذا ؟ لقد سبق أن اتفقنا ؟

لم تحاول «فران» اللجوء إلى الكذب :

– هذا ليس صحيحا تماما .. لكنني وعدت فقط بالذهاب إلى «سونست» ..

www.elromancia.com

حاولت «فران» تجنب النظر إليه . إذ إنها اعتادت على الذهاب - في كل مساء - لتشجيع أصدقائها ومشاهدة منظر غروب الشمس ..

- ليكن ما تريدين . سنذهب - في بادىء الأمر - إلى رصيف الميناء ، ثم أدعوك إلى العشاء ..

لمعت عينا «فران» استغرابا وذهولا :

- أنت .. لا تريد الذهاب إلى رصيف الميناء معي ؟

- ألا تريدين أن يشاهدك أحد بصحبتي ؟ لا تخافي ، لن أفعل ما يضايقك ..

وعادت «فران» في ذاكرتها وهي تحمر خجلا ، إلى عدة أيام سبقت ، حين قام هذا الرجل نفسه بوضع عشرين دولارا في صدرها .. إنها لا تذكر الآن إلا لمس أصابعه لجسمها ، إضافة إلى نظرة الحنق التي لاحظتها في عيني الفتاة الجميلة الشقراء التي كانت بصحبته ...

لمعت عينا «فران» وقطبت حاجبيها متسائلة :

- وزوجتك ؟ ماذا ستفعل هذا المساء ؟

رفع السيد «تالبوت» حاجبه مستغرباً

- زوجتي ؟ !

هنا أدرك السيد تالبوت مدى تحول خط سير أفكار «فران» . ورفع يده بحركة استنكار قائلا :

- آه ! تقصدين «أنا» ؟! ..

ابتسم السيد «تالبوت» دون أي سبب ، في حين ازداد تسارع دقات قلب «فران» بشكل جنوني ...

بدأ يشرح لها مفسراً :

- إنني لست متزوجاً .

كما أضاف ، وهما في طريقهما نحو الباب قائلا :

- إنني لا أريد السيدة «اليس» أن تنتظر فترة أطول .. إذن سنلتقي هنا بعد مرور ساعتين ؟ سأكون بانتظارك ؟

اختفى السيد «تالبوت» من أمامها ، دون أن يترك المجال حتى للإجابة .. في حين أومأت «فران» برأسها ملقية التحية والموافقة ..

ترى ما هو الموضوع الذي يريد أن نتحدث فيه ؟ وفجأة لمعت في رأسها فكرة : وماذا لو كانت هي التي يهتم بها ؟ .. ولكنها ما لبثت أن رفضت هذه الفكرة تماما إذ لا يمكن أن يكون هناك أية علاقة بينهما .. والسبب عدم وجود أي شيء مشترك بينهما ...

إنه لم يتصور على الأقل أنها ليست بالخصم السهل ؟ وفي هذه الحال ، فلن تتوانى عن محايلته ! ..

توجهت «فران» إلى خزانة ملابسها ، بعد خروجها من الحمام ، ولم تتمكن منع نفسها من التفكير في الفتاة الشقراء التي يبدو تسلطها وفرض رأيها على «جوناثان تالبوت» حتى ولو لم تكن زوجته ..

ترى ما هي الصلة التي تربطها بهذا الرجل ؟

تنهدت «فران» وتأسفت لعدم حيازتها على ثوب للخروج مساء.. وهو واحد من هذه الأشياء التي تتلفت الأنظار إليها ..

انتبهت «فران» فجأة إلى هذه الأفكار السخيفة التي تدور في ذهنها ، لذا استعجلت وارتدت واحدا من أجمل الأثواب التي بحوزتها والأحب إلى قلبها .. إنه فستان من القطن الأبيض ،

بسيط ، باستثناء وجود ثلاثة طيور زرقاء بثلاثة ألوان برتقالية وصفراء وحمراء ، مثبتة بدبابيس على الثوب .. كانت القبة الواسعة للفستان تظهر أكتاف «فران» العريضة ، وتوضح رقبتها الطويلة الجميلة .. ثم بدأت فران في تصفيف شعرها حيث رفعته عالياً ، ووضعت فيه شرائط بنفس ألوان الطيور الموجودة على الفستان ..

ثم توجهت نحو المرآة ، لتدرس بعمق ملامح وجهها دون أي مسحوق للتجميل .. فهي واثقة تمام الثقة من عدم موازتها لأناقة الفتاة الجميلة المرافقة لـ «جوناثان تالبوت» ! .. ولكن لا ، فهي لا ترغب إلا في أن تكون هي نفسها وأن تقدم شخصيتها بالذات .

قدم السيد «جوناثان تالبوت» إلى رصيف الميناء ، في الوقت المحدد ، وبدأ البحث عن «فران» ، وهو قد تغير أيضا ، حيث إنه ارتدى بنطالا أبيض وكنزة قطنية وأخيرا تقابل الإثنان ، ابتسمت «فران» في وجهه ، وأحست بشعور لم تتصور أنه ينتابها على الإطلاق وتأسفت لبضع لحظات فقط على وجود العديد من الأشياء التي تفصل بينهما ! ..

لم يكن هناك وسيلة تبعد عنها هذه الأفكار السخيفة المثيرة للسخرية.

بدأت «فران» الحديث بلهجة خفيفة :

– لم أكن أعتقد في جدية دعوتك لي على العشاء ! ..

قطّب تالبوت حاجبيه قائلا :

– بدا لي أنني عبرّت عن هذه الرغبة بشكل واضح ..

أدارت «فران» وجهها بحركة حيوية ، وهي تشعر بالخجل .. ترى ماذا هنالك وراء هذا الشيطان الإنسان ليجعلها ترتعد إلى هذه الدرجة ؟

– إذن هل تبدو فكرة قضاء عدة ساعات برفقتي أمراً مزعجا وصعبا إلى هذه الدرجة بالنسبة لك ؟

وأخيرا ، أصبح الإثنان – بعد مرور عدة دقائق – يسيران معا وسط جموع الناس المتوجهة إلى رصيف الميناء .. كانت «فران» تنظر حولها قلقة مضطربة ، خائفة من رؤية أحد يعرفها .. لاحظ «جوناثان تالبوت» الذي بدا مسليا بالنسبة له ، وكأنه يقرأ أفكارها على وجهها ..

لذا تمتم تالبوت في أذنها قائلا :

– استريحي قليلا ! ألا يبدو على أنني سائح ؟ إنني أعدك بألا أسبب لك خجلا.

زادت «فران» من سرعة خطواتها ، دون أن تجيب بأية كلمة متجهة إلى رصيف الميناء ، حيث اندمجت مع المجموعات المتواجدة هناك ، ثم انتقلت إلى الصفوف الأمامية للمشاهدين الذين يراقبون مجموعة مؤلفة من ثلاثة مهرجين يقلدّون «شارلي شابلن» ..

بدأت «فران» بالضحك والتصفيق بكل قوتها ، لتقنع نفسها ولو لبضع دقائق – أنها ليست بصحبة «جوناثان تالبوت» وارتبكت «فران» فجأة ، عند إحساسها بيد توضع على كتفها و حوّلت نظرها لتقابل نظرات «جوناثان» الغريبة ، ثم عادت إلى مراقبة مجموعة الفنانين الشباب ، ولكن دون إحساس بروعة ما يعرضونه ، إذ تحوّل تفكيرها فقط باتجاه حرارة اليد الموضوعة على كتفها .

حاولت «فران» الوقوف على رؤوس أصابعها والاقتراب قليلا للدخول وسط مجموعة المتفرجين ولكن لم يدعها «جوناثان» تتحرك ..

استمر الإثنان في السير على طول الرصيف .. وكانت «فران» تنصت جيدا إلى كل مرة يقترح عليها «جوناثان» مغادرة المكان والعودة ، ولكنها لم ترد بأية كلمة تاركة إياه يوجه هذه النزهة ..

وما أن وصلا إلى نهاية الرصيف ، حيث صادفا مجموعة الأوركسترا الصغيرة التي سبق لـ «فران» أن انضمت للعمل معها ، في تلك الأمسية التي التقيا فيها لأول مرة ..

بدأت «فران» تتساءل فيما إذا كان «تالبوت» يذكر تلك الأمسية ...

لم تعد تشك أبدا في تذكره لهذا الموضوع عندما اقترب منها وتمتم في أذنها قائلا :

- إنهم لم يحدثوا أي تقدم يذكر منذ رأيتهم في ذاك اليوم !

هذا ولم تتذمر «فران» أبدا ، لدى قيام «جوناثان» بجرها وإبعادها عن الموسيقيين ، حيث نظرا ، وهما إلى جانب بعضهما البعض إلى الشمس وهي تودع الأرض معلّقة أعلى المياه ، وكأنها مصباح نور هائل ..

ثم ما إن مرت لحظات ، حتى بدأ قرص الشمس يختفي بطيئا وسط المياه ، في حين بدأت الظلمة تسود السماء .. لقد شاهدت «فران» هذا المنظر مئات المرات ، وكان يخامرها دوما نفس الشعور .. أما في هذا المساء ، فإن الأمر يختلف ، إذ يبدو أنها تحس به بانفعال أكبر من الناس والسائحين الذين يقفون في «كي ويست» يصفقون لوداع الشمس أثناء غيابها ، إذ إنها لم تجد بنفسها ذاك الحماس الشديد الذي قلّ بالمقارنة مع عظمة اللحظة التي تعيشها الآن ..

وما هي إلا لحظات ، حتى تفرقت جموع الناس ، وتعكر مزاج «فران» لدى انتباهها لنظرات أصدقائها الفضولية إليها . ثم أدركت - من خلال ابتسامة «جوناثان تالبوت» أنه يتصور تماما ما يدور في ذهنها وما يثير غضبها - نزل الاثنان معا درجات السلم ، ليصلا إلى الشوارع المكتظة ..

سألت «فران» بقلق :

- أين سنذهب ؟

- لتناول العشاء .. لقد حجزت طاولة في «لانفووست» هل هذا يناسبك ؟

لم تجب «فران» على السؤال أن قدميها لم تطأ هذا المطعم أبدا - وهو من أفضل المطاعم في هذه الجزيرة وأغلاها ثمنا ..

يطل هذا المكان على المرفأ - وهو ذاك المكان الذي كان مستودعا وتحوّل إلى مطعم - استقبلهما المسؤول عن المطعم هناك ، ليقودهما إلى واحدة من الطاولات الموجودة في أفضل الأماكن عنده ، ولكن بعد النظر إلى «فران» بنظرة تلوحها المفاجأة .. إذا لم يعتد على ارتياد شباب الهيبيز لهذا المكان المميز ! ..

قدّم النادل إليهما ليطلعهما على قائمة الطعام .. توجه «جوناثان» إلى «فران» بالسؤال ، دون أن يطّلع على القائمة ، قائلا :

- ماذا تطلبين ؟

ردت «فران» بكل صراحة قائلة :

- إنني لم آت إلى هذا المكان أبداً .

رفع «جوناثان» حاجبيه استغرابا ، في حين أضافت «فران» ، وكأنها تدافع عن نفسها قائلة :

- إن ميزانيتي المالية لا تسمح لي بتناول العشاء في مثل هذه الأمكنة ..

بدأ «جوناثان» بالإطلاع على قائمة الطعام .. في حين كان هناك مغن شاب يغني معزوفة شعبية بمصاحبة الغيتار .. تعرفت عليه «فران» فيما بعد ، حيث أنه كان قد استأجر في العام الماضي غرفة في منزل عمتها ، لمدة خمسة عشر شهراً ...

إنها لم تره منذ وقت بعيد ، مما جعلها متأكدة من مغادرته للجزيرة .. ولكنه يبدو مازال موجودا فيها .. وتوصل إلى تدبر أموره باعتبار أنه يغني في «لانفووست» ! سألها «جوناثان تالبوت» ببرود :

- إنه واحد من أصدقائك . أليس كذلك ؟

- أجل يدعى «بريان براندون» . إنه يغني بشكل جيد .. أليس كذلك ؟

- هذا ما تجدينه ؟

- بل أنصت إليه ، على الأقل ، قبل أن تصدر حكمك !

تقابلت عيناهما معاً ، ولكن حولت «فران» عينيها عنه ممتعضة :

– أعتقد يا سيد «تالبوت» أنه آن الأوان لنضع جميع النقاط على الحروف .. إنني لست فتاة سهلة .. حتى لو كنت قد .. ثم صمتت «فران» فجأة لشعورها بالخجل من الخروج معه ..

سألها «جوناثان» ببرود :

– لِمَ لا تقومين كل مساء بالغناء على رصيف الميناء ؟

قامت «فران» من مكانها والتفتت نحوه .. لقد كانت هي المرة الأولى التي يظهر خلالها هذا البرود ..

– لأنني أعمل ...

– إن عملك الحالي – على حد علمي – لا يتعارض مع العمل الذي أحدّثك عنه ..

– قد يكون لدي شعور في أخذ مكان شاب هو أحق مني في ممارسة هذا العمل ، خاصة عندما أقوم به يوميا وبشكل منتظم .. لن يكون هذا .. مشرفا يحق في أن أحصل على عمل ثابت ودائم ، منزل ..

ولكن قطعت «فران» كلامها فجأة .. منزل .. للأسف إنها لن تظل مقيمة داخله لفترة طويلة !

امتلأت عيناها بالحزن ، ولكن يبدو أن «جوناثان تالبوت» لم يلاحظ هذا الأمر.

– هكذا إذن ، أنت تعملين ؟ ماذا تعملين ؟

– إنني أعمل كبائعة بدوام نصف في «سيترونيه دور» ، هو محل لبيع الملابس الجاهزة .. آه ! إن الراتب ضئيل جدا ، ولكنني أحب هذا العمل .. إن الزبائن فيه شباب في مثل عمري .. إضافة إلى حصولي على ما اشتريه بتخفيض .

أضافت «فران» هذا الكلام وهي تلقي نظرة على الفستان الذي ترتديه .

– ما هو عمرك ؟

لم تجب «فران» على الفور .. ترى ماذا يبغي من وراء هذا السؤال ؟

ولكنها عندما علمت بأنه يحاول فقط افتعال وجود أحاديث قصيرة ، ويبحث عن أي شيء يقوله ، لم تتردد أبدا في الإجابة قائلة :

– سأبلغ عما قليل العشرين من عمري .

بدا «تالبوت» مندهشا مما سمع :

– لقد اعتقدت أنك أصغر سنا ! .. فقد تولد لديّ إحساس عندما حدثتني عمتك عنك ، أنك مازلت في سن المراهقة ..

– هل حدثتك عمتي عني ؟

هكذا إذن ، هذا هو السبب الذي دفعه لرؤيتي .. قامت «ليزا تود» ببث جميع آلامها وأفكارها حول ابنة أخيها لمشتري المنزل .. ويبدو أن رجل الأعمال شعر بالذنب تجاه فكرة رمي فتاة شابة في الشارع !

– سيد «تالبوت» ، إنني قادرة تماما على تدبير أموري بنفسي ! لقد عُرِضَ على الغناء مع مجموعة من الشبان .. وبالطبع ، فإنني سأتوقف في هذه الحالة عن العمل في «ستيرونيز دور» .

لم يبد أن هذا الخبر قد هدأ من روعه ، وأحست «فران» عند بدئه بالتحدث وكأنها تنصت لحديث عمتها :

– إذن .. فأنت تريدين الغناء في ملهى ليلي ؟ أتعتقدين حقا أن هذا مكاني يليق بفتاة شابه مثلك ؟

– على كل حال ، فإنني لم أكن لأتوصل إلى هذا الحل ، لولا وجودك أنت ..

جاء النادل ليسألهم عن طلباتهم .

لم يكن لدى «فران» الوقت لتفحص قائمة الطعام . إذ ألقت نظرة عليها ولكن تبدو لها الخطوط وكأنها تتراقص تحت نظرها ، وبالتالي فهي غير قادرة على تحديد الأسماء مهما كانت .. سألها «جوناثان» قائلا:

– ما هي خصوصية المنزل ؟

قدّم النادل لهم عدة اقتراحات ، لم تسمع «فران» أية كلمة .. فهي بحالة توتر شديدة لدرجة أن وجبة الطعام كانت مشتقة من آلامها ومشاكلها .. فقد تركت امر اختيار وجبة الطعام لـ«جوناثان» ..

ألقت «فران» نظرة حولها ، أثناء وضع الطعام على المائدة ، لاحظت خلالها وجود عدد كبير من النساء الأنيقات ينظرن إلى الرجل الذي يرافقها .. قالت لنفسها بكل خيبة أمل إنهن يتساءلن حتما حول السبب وراء جلوس رجل مثله مع فتاة مثلها .. ولكن لم

يمنعها هذا من الجلوس بكل فخر واعتزاز والثناء على المأكولات البحرية بدءا من الجراد البحري وانتهاءً بسلطات الـ«كوتش» اللذيذة .

رفع صديقها حاجبيه مستغربا ، لدى إصرارها على عدم قدرتها على ابتلاع أية لقمة زيادة ..

– ولا حتى كاتو الليمون ، الطبق المشهور في «كي ويست» ؟ !

أجابت «فران» متأسفة :

– لا ولا حتى كاتو الليمون ..

– إذن ، هل تتناولين قهوة ؟

– كما تريد

قامت فراي عند تقديم القهوة لهما بصب كمية كبيرة من الكريم داخل فنجانها .

استطرد «جوناثان» بكل سرور قائلا :

– أية شهية تتمتعين بها ! ولكن ماذا تفعلين حتى تظلي نحيفة هكذا ؟ ..

واتقدت عيناه الرماديتان مكرا ، في حين اعتقدت فران أنها وصلت بذلك إلى إلقاء نظرة تأمل .. ثم ردت على سؤاله قائلة :

– إنني أقوم بممارسة التمارين الرياضية يوميا ، إضافة إلى ركوب الدراجة العادية ، كما إنني أمارس السباحة بكثرة .. وأعشق اليوغا ! ..

وابتسمت ابتسامة ثقة قبل أن تضيف قائلة :

– وأصرح بأنني لست معتادة على ارتياد المطاعم الكبيرة .. لذا ، فإنني أستغل الفرصة في حالة إتاحتها لي !

ظل «جوناثان» صامتا أمام هذا الكلام .. ويبدو أنه مستغرق في أفكاره ، حتى سألته «فران» فيما إذا كان ينصت إلى كلامها .

سألها «جوناثان» بعد فترة استراحة مطولة :

– هل نذهب ؟

أومأت برأسها موافقة وقائلة :

– إذا كنت تريد ذلك ؟

غادرت «فران» مستعجلة هاربة من هذه النظرات الثاقبة التي يبدو أنها تمكنت ما بداخلها بكل سهولة .. وهي لن يكون أمامها فرصة – بلاشك – لرؤيته من جديد .. وهذا هو الأفضل .. إذ قد لا

يكون هناك شيء مشترك بينهما . فعالمه هو المال والطموح والنجاح ، في حين أنها لا تطلب من الحياة شيئا آخر سوى الاستفادة من كل ساعة تمر عليها في أن تعيش دون معاناة ..

عبر الاثنان الشوارع الواسعة سيئة الإضاءة دون البوح بأي كلمة .. كانت هناك نسمة رطبة تحمل إليهما نفحات من الهواء العذب ومن رائحة الزهور الاستوائية ..

قطفت «فران» نبتة صغيرة وبدأت تبرمها بين أصابعها .

وبدأت تحدث نفسها وهي تداعب خديها بالبتلات المخملية بأنها لا تمتلك الشجاعة أبدا على مغادرة «كي ويست» ألم تدرك عمتها أبدا بأن وجودها منذ الآن فصاعدا لن يكون إلا هنا ؟ وإنها لن تعود إطلاقا إلى مدينة «جورجي» الصغيرة ، تلك المدينة التي قاست فيها جميع أنواع المتاعب والأحزان على مدى عدة سنوات ، من خلال حياتها مع والدها ؟

سارعت «فران» في خطوات سيرها بشعور تلقائي ، وفجأة اصطدمت قدمها بحفرة موجودة على الرصيف .. وربما كانت ستقع لولا وجود «جوناثان تالبوت» إلى جانبها الذي أمسكها بيده ...

بدأ قلبها يدق بسرعة .. ها هي الآن تجد نفسها بين يديه ، لِمَ لا تبتعد عنه ؟

ولكنه اقترب منها وقبّلها .

وفجأة ، خطر في بالها أمر مأساتها الحزينة ؟ .. ماذا تفعل بين يدي هذا الرجل ؟ .. إنها لم توافق فقط على قبلاته ، بل بادلته إياها أيضا .

عندئذ سمعت كلام والدها يرن في أذنيها :

– «جميع النساء يجلبن التعاسة .. وستكونين أنت كغيرك من بنات جنسك» .

دفعت «فران» «جوناثان» بعيدا عنها بكل قواها .

وحدثته بقسوة :

– كان عليك .. كان عليك ألا تفعل ذلك !

وبدأت «فران» ترتعش منزعجة لدرجة أن اصطكت أسنانها ! تمتمت «فران» ببعض الكلمات التي لم تتمكن من سماعها . حيث إنها تراجعت إلى الخلف وابتعدت عنه .. اقترب «جوناثان» منها واعتقدت أنه سيعود ليمسكها بيده لذا صرخت قائلة :

– لا تلمسني أبداً ! أتعتقد أن جميع النساء متشابهات .. ولكن لست أنا أبدا ! ..

في حين بدا امتعاضه من رد فعلها :

– ولكن ماذا .. ؟ لنرى ... من أجل قبلة !

عادت «فران» إلى هدوئها .. حيث بدأت دقات قلبها تعود إلى سرعتها الطبيعية .. كيف تمكنت من فقدان السيطرة على نفسها بهذا الشكل .

لم يكن يدور في بالها إلا فكرة واحدة فقط : الهروب ، الهروب من هذا الرجل إلى الأبد ، لتبقى وحدها بهدف محاولة فهم ما حصل لها .

توجهت «فران» إليه قائلة بلهجة مفاجئة :

– لننس ما حصل ! ..

وابتعدت عنه بسرعة .. ولكن تبعها «جوناثان» ليلاحقها خطوة بخطوة ، ثم سألها بلهجة حادة قائلا :

– تصوري ، إنني لن أنسى ما حدث بسهولة ..

ثم أضاف بلهجة قاسية :

– لِمَ أنت غاضبة يا « فران » ؟ إنني لم أكن أريد ...

إنني – كما تعلمين – لم أقصد إخافتك .. كان هذا حتما خارجا عن إرادتي .

حاولت «فران» – بلا جدوى – ألا تترك نفسها ترتعش من هذا الصوت الدافىء، ذي النبرات العميقة وتلعثمت «فران» وهي تقول :

– إنني .. إنني أعتقد أنك . والآن أريد منك يا سيد «تالبوت» أن تتركني أعود لوحدي . إنني أعرف الطريق !

تنفس «جوناثان» الصعداء وتذمر ببعض الكلمات غير الواضحة اعتقدت «فران» أنها سمعته يتمتم :

– ولكن ما هذه الورطة التي أوقعت نفسي فيها ؟

إلا أنه لم يكن لديها أي هدف في أن تطلب منه إي أيضاح .

– سيد «تالبوت» أشكرك على هذه الدعوة على العشاء وإلى اللقاء .

واتجهت «فران» مباشرة نحو حارة عريضة ومظلمة – وهو طريق مختصر غالبا ما تسلكه أثناء العودة – واختفت وسط الظلام الدامس .

في حين لم يحاول «جوناثان تالبوت» اللحاق بها .

♥ ♥ ♥

www.elromancia.com

الفصل الرابع

– عليك يا عزيزتي أن تبذلي جهدك هذا المساء فقط ! .. تذكري ما قلته لك سابقا .. إن الزبائن لا تأتي فقط لسماع صوتك الجميل .. ولا تنسي أيضا بأن المدير سيكون في القاعة وهو سيدعوك بالتأكيد لتناول كأس معه ، مباشرة بعد انتهائك من الغناء ! ..

كان «جاك براون» يحدث «فران» بكلمات رقيقة ، وهو يضع يده على كتفها ، كانت «فران» تكره سماع مثل هذه العبارات ، وتتمنى دفع يده عنها بكل قوتها .. ولكن لم يكن بإمكانها معالجة الأمر بهذه الطريقة مع مدير «بلاك بيغ» !

«عليك أن تبذلي جهدك هذا المساء»

«عليك أن تبذلي جهدك هذا المساء ..» .. كان لدى «فران» إحساس بأنها سمعت هذه العبارة من قبل مئات المرات منذ أن غنت مع فرقة «سيلفر سترانجيد فاغرانت» .. وخاصة من «بوب

سيلفر» قائد الاوركسترا و«جاك براون» اللذين لم يتوقفا عن تكرار هذه العبارة على مسامعها .. كانت «فران» تعلم جيدا معنى هذا الكلام ! فقد طلب إليها فتن الحضور من خلال الرقص على المسرح ، والهزّ مع أنغام الموسيقى، ولدرجة أنه تم تزيين المكان بالإضاءة وبالصور الخلاعية .. لقد مضى عليها حتى الآن أسبوع كامل وهي تعمل مع فرقة «سيلفر سترانجيد فاغرانت» .. وهي تكره هذا الأمر! ومع ذلك فهي تعشق الغناء .. ولكنها لم تحبذ الجو الغامض لهذا النادي حيث إنها ضاقت ذرعا بعبارات الثناء والاقتراحات الموجهة إليها من كل صوب ونوع .. لدرجة أن أصبحت تحس وكأنها غارقة في بحرٍ من الوحل وعليها أن تعبر ولكن هناك أيدي تحاول أن تغرقها ، في حين كان هناك أصوات تتمتم في أذنيها بكلمات تؤدي إلى إحساسها بالخجل وإحمرار الوجه .

وهاهي تُجبر في هذا المساء على تناول كأس بمرافقة صاحب هذا المكان ! ترى إلى أين سيؤدي بها هذا الأمر ؟ مالت قليلاً بعد الطلب الثاني وهي تبتسم ابتسامة تغطي مزاجها المعكر ..

والمؤكد أنه لم تكن هي تلك «فران» التي كانت تغني في تلك الأمسية ، بل دمية تتحرك من بعيد ، ولكنه ليس هناك أي شيء مشترك بين من تغني له وبينها هي نفسها .

أخذت «فران» تكبت مشاعر الغيظ في نفسها ، ولم تكن تطلب إلا شيئا واحداً فقط وهو الهرب من الباب الخلفي والذهاب دون رؤية أحد من هؤلاء الناس ..

أراد المدير أن يقدم لها كأسا ، ثم ردد قائلا :

– لا يمكنك يا «فران» أن تنقذي نفسك بهذا العمل ؟

واقتضب وجه «جاك براون» لدى توقيفه لـ«فران» في الوقت نفسه الذي تصورت فيه تحقيق النجاح في الاختفاء دون أن ينتبه إليها أحد ..

قاطعته قائلة :

– جاك ، إنني ..

ولكنها فوجئت بوجود شبح ظل السيد «جوناثان تالبوت» خلف مدير الـ«بلاك بيلغ»

قفز قلب «فران» من مكانه مباشرة لدى رؤيتها شبح «تالبوت» .

ترى هل كان «جوناثان» حاضرا الفقرة الغنائية التي كانت تؤديها وكأنها راقصة خليعة ، أجل راقصة خليعة لا شيء غير هذا ؟ فسألها بلهجة حادة :

– «فران» هل أنت جاهزة ؟

التفت «جاك» وراءه ، فهو لم يشاهد بعد القادم الجديد ولا يبحث عن إقناع «فران» في العودة إلى الغناء .. وانسحب دون البوح بأية كلمة .

اتجهت «فران» بعينيها نحو «جوناثان» قائلة بلهجة اضطراب :

– هل كنت في الصالة ؟

– أجل

ثم شدها من يدها قائلا :

– لنخرج من هنا حالا .

خرج الاثنان بسرعة كبيرة من الباب الخارجي لدرجة أنهما لم يلتفتا إلى اللافتة الموجودة على الممرات وقد كتب عليها : «مخصص لشخص واحد» وما إلا لحظات ، حتى كان الاثنان يسيران في الشارع ..

أخذ «جوناثان» يسير بخطا ثابتة في حين تبعته «فران» دون بذل أي مجهود .. ولاحظت ، أثناء غضبها أنهما يتوجهان في طريقهما إلى الشاطىء الشعبي حيث يتواجد الـ«كازامارينا» ولكنها لم تحتج بأية كلمة .. إذ كان شيئا بالنسبة لها - في تلك اللحظة - واحدا .. وشعرت بنفسها محرجة متضايقة .. إذ إنها لم تشعر قط في حياتها بمثل هذا التعب ..

مرّ الاثنان - أثناء سيرهما - من أمام ملاعب التنس ، وعبرا الشارع ثم هبطا باتجاه البحر .. وما أن وصلت «فران» إلى رمل الشاطىء ، حتى خلعت حذاءها وسارت باتجاه الأمواج الممتدة على طول الرمال ..

بدأت المياه الباردة تحيط بركبتي «فران» .. ورفعت نظرها باتجاه الشمس المائلة إلى الغروب التي تبسط ضوءها على هذه المناظر الرائعة التي عرفت فيها الآن بريقا رائعاً ، ثم ها هي كان يراودها شعور بأنها ستعمل على العيش فيه مهما كان الثمن !

- ترى هل يكلّف ذلك كثيرا ؟ ...

وتنبهت فجأة ... ترى هل بإمكان «جوناثان تالبوت» أن يتصور ما يدور في ذهنها من أفكار ولذا توجهت إليه بالسؤال

وهي تتراجع أمامه قائلة :

- ماذا تريد أن تقول ؟

- أتراك قادرة على بيع نفسك في سبيل أن تبقي في «كي ويست»

.. كان صوته محملا بلهجة إحتقار . لدرجة أن أحست «فران» وكأنها أصيبت بصفعة على وجهها . ولكنها لم تحتج ولم تنبس ببنت شفة ... فهو معه كل الحق . إذ إن الفقرة التي قدّمتها هذا المساء .. ليست إلا فقرة تعرض نفسها من خلالها للبيع ..

إلا أن «جوناثان تالبوت» لم يستمر في انتقادها .

وسألته بمرارة :

- إلى أين تريدني أن أذهب ؟ إنني لا أعرف مكانا آخر غير «كي ويست» و ...

كان عليها أن تبذل جهدا كبيرا لتضيف :

- وجورجي .

- لِمَ لا تذهبين للعيش مع عمتك في جورجي ؟ إنني أشعر بأنها تحبك حبا عميقاً ، وبأنها تتمنى أن تراك قربها ..

– أعلم ذلك ..

ارتعشت قائلة :

– ولكنني لا أريد العودة إلى هناك !

نطقت «فران» بهذه الكلمات بلهجة حادة لدرجة أن مرافقها «تالبوت» لاحظ مدى تغييرها ..

– «فران» هل كانت حياتك هناك مروعة إلى هذا الحد ؟ ! .

أخذ الاثنان يسيران معاً بمحاذاة مياه البحر وكانت «فران» متجاهلة في الرد على السؤال الموجه إليها . ولكنها أحست بمدى وقوعها تحت الضغط في تلك الليلة ، لدرجة أنها كانت بحاجة ماسة إلى الحديث والتفريج عن نفسها ، إلى شخص ما تحاول أن تشرح له وجهات نظرها وأحاسيسها .

– .. هذا ليس صحيحاً .. لم يكن والدي يعاملني بصورة سيئة .. ولكن .. كان الضحك واللهو جريمة أي أن تكون مسروراً جريمة بالنسبة له .

– و .. والدتك ؟

– إنني لا أعرفها .

ترددت فان لحظة قبل أن تتابع حديثها قائلة :

– لقد تركت والدي وغادرت البلدة عندما كان عمري عدة أشهر فقط .. وهي – حسب قول والدي – هربت مع رجل آخر .. ترى هل هذا الأمر صحيحا أم لا ، لا أعرف .. لكنني لا أستطيع أن ألوم والدتي لتركها له .. إذ إنني أدركت من جهة أخرى السبب وراء ذلك .. وأتمنى من قلبي ، أن تكون سعيدة بحياتها الآن .

– من المؤكد ، أن والدك أصبح ساخطا جدا ، بعد هذه التجربة .

– أجل .

وظلت «فران» صامتة لفترة من الوقت .. إذ كان صوت والدها يرن في أذنيها :

– إن جميع النساء خائنات ! جميعهن !

حاولت «فران» منع دموعها ، التي تتلألأ في عينيها من السقوط ، وأدارت بوجهها نحو البحر ولكن ما لبثت يدا «جوناثان» أن امتدتا لتربتا على كتفيها .. قاومت «فران» رغبتها في الارتماء نحوه اعتقاداً منها أنها ستعود .. من خلال هذه الحركة – إلى

احتقار نفسها لضعفها ..

صرخت فجأة :

- لا تلمسني !

سألها «جوناثان» بصوت منخفض :

- لِمَ تشعرين بالخوف كلما حاولت لمسك ؟ !

ولكنه لم يوجه هذا السؤال إليها .. فهو يعرف الجواب مسبقا

- إنني لا أريد من رجل أن ...

قطبت «فران» حاجبيها ، وبدأت تفرك بقبضات يديها وصرخت والدموع في عينيها ؟

- إن والدي يكذب ! إنني لست ..

وقطعت كلامها من جديد .. رمى «جوناثان» بشعرها إلى الخلف بحركة مفاجئة .. وقال :

- لقد بدأت أدرك ...

ولم ينبس بأية كلمة أخرى ، في حين لم تطلب منه «فران» أي استفسار أو إيضاح ..

وتوجه إليها قائلا .. محاولا تغيير مجرى الحديث :

- إن الوقت متأخر الآن ، وأنت متعبة وعليك الذهاب للنوم .

ردت «فران» :

- أجل ، إنني متعبة .

أجل ، لقد كانت متعبة حقا، ولكن معنويا .. فهي على هاوية فقدان أعصابها والإصابة بإنهيار عصبي ، والسبب هو ما حدث خلال هذه الأمسية في الـ«بلاك بيغ» .. وقيامها بالاعتراف أمام «جوناثان تالبوت» بما لا تريد البوح به لأحد ، ولا حتى لعمتها «ليزا» ...

سألها «تالبوت» بلهجة عادية :

- هل بحثت عن مكان إقامة آخر ؟

استطاع هذا السؤال الواقعي أن يساعدها على العودة إلى هدوئها ..

- هناك واحدة من البائعات في «سيترونيرز دور» يمكنها أن تؤجر لي مكانا لفترة مؤقتة ..

ثم تحولت في حديثها إلى مدافعة وموجهة للاتهام :

– وبالمقابل ، فإن الكثير من أصدقائي لا يعلمون حتى الآن ماهو مصيرهم !

– كم يبلغ عددهم ؟

– عمليا ، ثلاثون شخصا !

وجد الاثنان نفسيهما أثناء الحديث وهما يسيران ، أمام منزل «كوتش» الكبير ..

سرُّ «جوناثان تالبوت» في أن يقول لها ، قبل أن تجيب بأي تعليق على جملتها الأخيرة :

– «فران» ، تصبحين على خير ، وإلى اللقاء غدا ..

أدار «تالبوت» ظهره عائدا ، في حين ظلت «فران» تنظر إليه وهو يبتعد مغادرا المكان . وتذكرت أنه ناداها خلال هذا المساء ، عدة مرات بأسمها الأول .. في حين أنها تجنبت أن تناديه أو حتى تقول له بكل بساطة «السيد جوناثان» ....

أخذت تكرر اسمه باستمرار ثم تحاول لفظه بصوت عال .. إنها لم تتعرف أبدا على إنسان يحمل هذا الاسم ،

– وكأن الأمور ستسير ...

ثم حاولت ابتلاع بقية الكلمات والدهشة بادية عليها من تسارع أفكارها واستطرادها .. قطبت «فران» حاجبيها مباشرة عندما ورد في ذهنها عبارته «إلى اللقاء غدا» .. هل لديه الرغبة حقا في أن يقدّم إليها الأمل باستمرار الحياة؟!

لم يسنح الوقت أمام «فران» للتفكير في اليوم التالي الذي جرى بينها وبين السيد «تالبوت» فقد ظلت مستمرة في عملها في دكان بيع الملابس الجاهزة ، لأنها لم تتجرأ حتى على تقديم استقالتها قبل التأكد من انضمامها الأكيد مع فرقة «بوب سيلفرز» .

كان عدد الزبائن كثيرا خلال هذا اليوم ، في محل «سيتر ونيز دور» لقد كان يكفيها في السابق تناول ساندويتش ، أما اليوم فهي تحلم بتناول وجبة طعام حقيقية .. ترى أين بإمكانها تناول وجبة طعام لذيذة وتتناسب مع ميزانيتها الاقتصادية ؟! ..

خرجت من المحل ، وبدأت تستعد لقيادة دراجتها الهوائية ، التي تركتها في مكان قريب ، وإذا بها تفاجأ بوجود السيد «جوناثان تالبوت» واقترابه منها :

– خشيت أن تكوني قد غادرت مكان عملك .. هل تسمحين بتناول الغداء معي؟

– أين ؟

بدت «فران» شاحبة اللون مع لون إسمرار الشمس الظاهر على بشرتها في حين كانت عيناها متجهتين لظل «جوناثان» تنظر إليه مليا عدة لحظات قبل أن يفتح فمه قائلا :

– إنني أعرف مكان مطعم هادىء ، موجود بالقرب من هنا .. كان هذا كل ما تريده «فران» فهو دائما يصل في الوقت المناسب.. بالأمس جاء إلى الـ«بلاك بيغ» ، مساء لينزعها من حالة الاضطراب التي كانت تعاني منها .. وها هو اليوم اقترح عليها تناول الطعام في المكان الذي كانت تحلم به !

وصل الاثنان إلى المطعم .. وها هما – بعد مرور عشر دقائق فقط– يجلسان متواجهين على مائدة واحدة من موائد المطعم الضيق ، والمرتب جداً .

لم تترك «فران» أية لقمة من وجبة طعامها ، كما إنها لم ترفض – هذه المرة – تناول حلوى التارت بالليمون .. ظل

«جوناثان تالبوت» صامتا أثناء تناولهما الطعام .. وهذا أيضا ما كانت تريده .. ويبدو أنه هو ذاك الشيء الذي تحتاجه دوما؟

وأخيرا توجه «جوناثان» إليها بالسؤال قائلا :

– هذا أفضل ، أليس كذلك ؟

وتبادل الاثنان الابتسامات .

– هم .. أفضل بكثير .. شكرا جزيلا .

ثم بدأت «فران» تحدثه عن مشاريع إعادة تجديد المنازل الـ«كونش» القديمة .. محاولة أن تجامله في الحديث:

– هل قام مهندسك المعماري بإنهاء المخططات ؟

– «لاري» ليس فقط مهندسا معماريا ممتازا ، بل هو من أفضل الأصدقاء المقرَّبين لي ..

تمهل لحظة قبل أن يتابع كلامه :

– سيعمل العمال قريبا في ترميم واحد من المنازل .. ثم ارتشف آخر رشفة في فنجان قهوته وأضاف :

– وهذا ما يدفعني للخوض في الموضوع الذي أريد أن أفاتحك فيه .

www.elromancia.com

تقدّمت «فران» في جلستها نحو الأمام ، وبدأ الفضول يداعبها . ترى ماذا يريد أن يقول لي ؟ !

تابع «جوناثان» حديثه مفسرا :

– إن من الصعوبة بمكان إعادة ترميم المنازل الخمس دفعة واحدة .. وقد قررت في الختام ، أن أترك أربعة منازل تحت تصرف المستأجرين الحاليين ، حتى نهاية العام .. فوجئت «فران» كثيرا بالكلام الذي تسمعه ، لدرجة أن ظلت صامتة . في حين تابع «تالبوت» كلامه :

– ولكن لن يكون هناك حتما مستأجرون جدد .. فمن يترك المكان ، لا أستطيع أن أجد أحداً يحلّ مكانه ..

– أوه ! «جوناثان» ! هذا شيء رائع ! ..

برقت عينا «فران» من الفرح .. إذ كانت أبعد ما تحلم به هو سماع مثل هذا الخبر:

– إنني ...

قاطعها السيد «تالبوت» قائلا :

– انتظري قليلا ، إنني لم انته من حديثي بعد .. هناك شرط واحد فقط ..

أحست «فران» بقلبها يتجمد في مكانه .. وظنت للحظة أنها كانت تحلم بما سمعت من كلمات :

– .. شرط واحد فقط ؟

– أجل .. إنني أرغب في أن تغادري مكان إقامتك الحالية وأن تعيشي وفق إرشاداتي وتعليماتي .. وسيستمر هذا الأمر حتى نهاية العام فقط ..

– ولكن .. هل تدرك ما تقول ؟ ! ..

ابتسم شبه ابتسامة صغيرة وقال بكل تأن وتوكيد :

– ليس هناك ما تخافين منه .. إنني لم أعتد التعدّي على الفتيات ..

وتمتمت قائلة بلهجة المذهولة :

– إنني .. لا أفهم شيئاً .. ماذا تريد مني بالضبط ؟! ..

– لقد قمت باستئجار شقة لـ«لاري بينغهام» ، يمكنك أنت أيضا أن تقيمي فيها ..

اعتقدت «فران» للحظة أنها سمعت الكلمات لذا تساءلت مذهولة :

– مع «لاري بينغهام» ؟!..

– ثقي تماما بما أقول ودعيني أوضح لك :

هناك ثلاثة موظفين يقيمون داخل هذا المنزل بشكل دائم – امرأتان منهما في سن النضوج .. وستقومين على الفور بتقديم استقالتك إلى مدير الـ «بلاك بيغ» ، مما سيتيح أمامك اكتساب مهنة حقيقية لتستطيعي الحصول على قوت يومك .. تردد «جوناثان تالبوت» قليلا ثم تابع طرح عرضه بكل دقة قائلا :

– إنك ستتعرفين على اناس مختلفين تماما عمن اعتدت معرفتهم والارتباط بهم .. أناس هدفهم في الحياة هو تحقيق طموحاتهم .. وفي الختام ، فإنني أريدك أن تدركي وجود قيم أخرى غير تلك التي تفرحين بالمطالبة بها حتى الآن ..

تركته «فران» يتحدث ، ويعبر عما يريده ، وهي مندهشة من أقواله ، لدرجة أنها لم تجرؤ على مقاطعته . ولكن لم تعد تحتمل في النهاية كلامه .. لذا انفجرت قائلة :

– هذا كلام تافة لا معنى له ! .. إنني أعيش الحياة التي اخترتها مع أصدقائي الذين اخترتهم بنفسي ، ولا أهدف أبدا إلى

التخلي عنهم مهما كانت الأسباب ، وهذا واضح .

لم يتعثر «جوناثان تالبوت» إطلاقا ، بل استدرك قائلا بكل هدوء :

– حسن جداً .. ولكن فكري في الأمر ، وثقي أنه في حال رفضك يتوجب على أصدقائك مغادرة غرفهم مع نهاية هذا الشهر في حين يبقى أمامك أنت الاختيار بين العمل مع «بلاك بيغ» .. أو مغادرة «كي ويست»

وصلت هذه الكلمات إلى مسامع «فران» وكأنها قرار صادر عن محكمة ! ..

سألته بنبرة متحدية :

– ولكن ماذا لو وافقت على اقتراحك الآن .. ثم غيّرت رأي بعد قليل ؟

– ستكونين حرة تماما . إن هذا عرض وليس حكما بالأشغال الشاقة المؤبدة ..

وتوجه إليها بابتسامة عريضة ، مما أعاد مباشرة – الثقة إلى نفسها .

وتمتم قائلا :

– من يدري ؟ ربما يعجبك هذا النوع الجديد من الحياة ..

بدأت «فران» تعض على شفتيها من شدة الغيظ :

– لماذا تقوم بهذا العمل ؟

نظر إليها نظرة مطوّلة دون أن يجيب ، في حين أصرّت على السؤال من جديد ، دون أن تلاحظ حتى أنها – للمرة الثانية في هذا اليوم – تناديه باسمه الأول .

– لماذا ، يا «جوناثان» ؟

توجه إليها أيضا بنفس الابتسامة التي تثير الرعشة في قلبها .. حيث يبدو مختلفا تماما عندما يبتسم مثل هذه الابتسامة ، يبدو محاميا بارعا .. وجذابا إلى أقصى حد .

– لنسمي ذلك مشروعي الصغير في رد الاعتبار .

أحست «فران» أنها لم تتمكن من إحداث أي تقدم ، حتى غريزتها تناديها أن بالإمكان وضع ثقتها بهذا الإنسان ... إنها تعلم أن ليست «فران» نفسها هي التي تهمها إذ إنها شرحت أسبابها القوية بشكل جيد .

لِمَ تعاند نفسها في الرفض ، في الوقت الذي تجد أن هذا العرض المتشائم يقدّم لها حلاً لمشاكلها ولمشاكل أصدقائها ..

– ماذا إذن يا «فران» ؟ ماذا قررت ؟

إنني سأتصل – في بادىء الأمر – هاتفيا بعمتي لأسألها رأيها .. ثم سنرى .

يعلم الاثنان – بأن هذا الجواب المضلل – لم يكن معناه إلا الإجابة بـ«نعم» .

♥ ♥ ♥

www.elromancia.com

الفصل الخامس

صرخ المهندس المعماري الشاب فرحاً :

– أوه ! ما هذا الفستان الجميل !

ابتسمت «فران» في وجهه ابتسامة ملؤها الحرارة ، قائلة :

– شكرا على هذا الإطراء يا «لاري» !

جلست في مواجهته في صالون المنزل ، تبدو عليها ملامح السعادة والأناقة في ثوبها الجميل ذي اللون الأصفر المائل إلى الخضرة .. أخذت «فران» تقرأ في عيني «لاري» الإعجاب والتقدير ، ليس لثوبها فقط بل ..

ألقى «لاري» عليها نظرة محبة وصداقة .. ترى ماذا كانت ستفعل لولا وجوده خلال فترة الثلاثة أشهر السابقة . كانت «فران» على وشك أن تبوح بما يدور في ذهنها لـ«لاري» عندما وصلت «جوانا» وهي تدفع الطاولة أمامها ، لتضع عليها وجبة الغداء ..

لم تكن «فران» قد اعتادت بعد القيام بأية خدمة في هذا المنزل .. إذ لم يطالبوها منذ سكنها هنا بمساعدتهم في أمور المطبخ والشؤون المنزلية ، لدرجة أنها لم تكن مجبرة حتى على ترتيب سريرها ، إذ إن هناك الأختين «جوانا وماريا» اللتين تقومان بترتيب المنزل بشكل جيد ، مما جعل من المضحك أن تعرض عليهما العمل معهما .

مضى حوالي الثلاثين يوما ، والفتاتان مازالتا تقومان بتدبير شؤون هذا المنزل مع أخيهما الذي يعمل كمسئول عن الحديقة . وقد تم استئجار هذا المنزل مع ترتيب اعتاد عليه الجميع ، ويناسب كل الناس ..

كان هؤلاء الخدم يقابلون بتوبيخ كبير ، في حالة إقدامهم على طرح أسئلة تتعلق بالعلاقات التي تجمع بين الأفراد القاطنين في هذا المنزل .

وغالبا ما كانت «فران» تمضي معظم وقتها وحيدة مع «لاري بينغهام» في حين كان «جوناثان تالبوت» يأتي لرؤيتهما وليمضي معهما – بين الحين والآخر– عدة أيام ، في حال عدم سفره إلى نيويورك أو لوس انجلوس أو شيكاغو بهدف إتمام أعماله ..

www.elromancia.com

توجه «لاري» بالسؤال إلى «فران» قائلا :

– كان لديك أعمال كثيرة هذا الصباح ؟

توقفت «فران» عن النظر إلى صحن السلاطة والمتبلات الموجودة أمامها .

– لقد تسلمت مؤخرا مجموعة جديدة رائعة . ويجب القول ، انها تختلف تماما عما كنت أبيعه في محلات الـ «سيترونيرز دور»

عرض على «فران» بعد مغادرتها المنزل القديم ، العمل بائعة بنصف دوام في دكان جميل تملكه «الينور كارون» وقد توصلت «فران» إلى أن هذا العرض الرائع ، لم يكن من باب الصدفة ، خاصة بعد أن علمت أن صاحبة المحل هي صديقة «جوناثان» ..

كانت «فران» تقبض راتبا أكبر من ذاك الذي تتقاضاه من محلات «سيترونيرز دور» ، ولكنها – بالمقابل – كانت تبذل جهدا كبيرا في العمل ، لدرجة أنها أحست باستحقاقها لكل دولار تقبضه ..

وتوصلت «الينور» معها إلى جعلها ترتدي ملابس من دكانها نفسه ، بحيث انها تبيعها بنسب تخفيض كبيرة ...

توجه «لاري» بالكلام قائلا :

– سيكون «جوناثان» مبدئيا هنا بعد ظهر هذا اليوم .

أحست «فران» بتسارع دقات قلبها وردت ساخرة :

– إنه قادم ليرى ما آل إليه مخططه في إعادة ترميم المنزل..

لم تكن – في واقع الأمر – سخريتها إلا ظاهريا فقط . ولم يكن هذا إلا رد فعل دفاعيا فقط ، لاشيء أكثر من ذلك .. لأنها لم تفهم حتى الآن سبب تصرف تالبوت هذا معها ، حتى بعد أن عاشت مدة ثلاثة أشهر تحت سقف المنزل المقدّم من قِبله.. ولكن كان هناك شيء واضح تماما وهو أنه لم يكن يهتم بها أبدا إلا كامرأة ! ..

ظل «لاري» يحدق فيها بكل انتباه .. في حين مازالت «فران» تزداد جمالا ، حيث تنازلت عن ملابسها الوحشية وقام حلاق جيد بقص شعرها إلى مستوى كتفيها ، إضافة إلى تعلمها أيضا طريقة وضع المكياج الخفيف على وجهها .. لم تفقد «فران» رغم كل شيء حبها وتذوقها للرياضة .. حيث ظلت تستيقظ صباحا مع شروق الشمس لتمارس «رياضة الجري» مسافة عدة كيلو مترات .

إضافة إلى أنها كانت تسبح يوميا في المسبح الكبير ، المتواجد في الحديقة ، كما تقوم في كل مساء بممارسة رياضة اليوغا .

ويصر «لاري» على سؤالها دوما :

- ودراستك ؟

- رائعة وأحبها جدا ! في البدء ، كنت خائفة ومتضايقة إذا أحسست بأن عليّ العودة إلى نظام المدرسة ..

ولكني اندمجت سريعا فيها ..

خصصت لها عدة ساعات من بعد ظهر كل يوم للدروس الخصوصية .

- عندما أفكر بأنني عشت ما يزيد على السبع سنوات في «كي ويست» دون أن أعرف أي شيء عن تاريخ هذه الجزيرة !

وبدأت تقص على «لاري» بكل حماسة - ما تعلمته في موضوع المنازل القديمة في «كي ويست» كانت تنسى تماما أنها تجلس أمام مهندس متخصص بهذه المسألة .

- لقد قام صانعو القوارب في هذه الجزيرة ، ببناء جميع هذه المنازل القديمة ، هؤلاء العمال الذين كانوا يبحرون أكثر مما

يعيشون على الأرض . لهذا نجد أن مخططاتهم مشابهة للمراكب ..

أحمرّ وجه «فران» خجلا ووضعت يدها على فمها ، ثم تعجلت في الكلام قائلة :

- أوه «لاري» ! عليك أن تجعلني أسكت !

- لا اطلاقا ، إنني مسرور جدا باهتمامك الكبير بهذا الموضوع ! إذ سيصبح بإمكانك - في حال الاهتمام بمنازل الـ«كونش» هذه ، مساعدتي في أعمال الترميم ؟

ثم حدق بها ، دون أن تنبس بأية كلمة .. وتقابلت العيون مع بعضها :

- لا تسخر مني يا «لاري» ، سأكون سعيدة جدا بالاشتراك في إعادة تجديد هذه المنازل القديمة الرائعة .

- أما أنا ، فسأكون سعيدا في أن توجهي لي نصيحة أو رأيا .. إن لديك ذوقا رائعا وخيالا واسعا . وأنا على اقتناع تام بأن تعاوننا سيكون جديا .. ومن يعلم - ربما بإمكانك أن تستمري في العمل بهذا المجال ...

www.elromancia.com

أشارت إليه «فران» محذرة ومتوعدة وهي تقول ضاحكة :

- انتبه يا «لاري» إن بإمكاني العمل بهذا العرض والموافقة عليه واعتباره طلبا للزواج !

بدا الغضب واضحا على «لاري» في حين قامت «فران» بكل حيوية ، بضم يديه بين يديها بحركة شاعرية .

وفجأة سمعا صوتا يحدثهما :

- أسف على إزعاجكما .

ارتعدت «فران» وقامت بكل حيوية ، كمن فوجىء بوجود من يراقبه ، خلال ارتكابه عملا سيئا ..

ترى كم مضى من الزمن على وجود «جوناثان» في هذا المكان ؟

ترى هل سمعها وهي تحدث «لاري» عن طلب الزواج ؟ لقد عكرت هذه الفكرة مزاجها ..

وساد الصمت المكان ، ثم بدا «لاري» يقطعه قائلا :

- كان عليك يا «جوناثان» أن تخبرنا بوصولك المبكر إننا ننتظرك على الغداء ..

- إنني أجهل تماما الساعة التي يمكنني أن أصبح فيها حراً ..

جلس «جوناثان» وتنفس الصعداء .. في حين لاحظت «فران» ذبول عينيه وشحوب وجهه ..

كان «جوناثان» يرتدي بدلة مدنية زرقاء .. ويبدو في هذا اللباس أشد جاذبية ، وأكثر رجولة ..

احمرت «فران» خجلا ، لدى ملاحظتها أنه يراقبها .. ترى لماذا يمتلك هذا الإنسان القدرة دوما على جعلها ترتعد وتضطرب إلى هذا الحد ؟ ! .. كان قلبها ينبض بدقات سريعة وغير منتظمة وهي غير قادرة على تحويل نظرها عنه ..

سمعها وهي تقول بصوت واضح :

- لقد اقترح عليّ «لاري» أن أعمل معه .

- آه ؟ وفي أي مجال .

كان صوتها متقطعا كالفولاذ .

واستغرقت نظرة إلى «لاري» الذي بدا أشد تعكيرا وضيقا منها ..

شرح «لاري» مفسرا :

- لقد أخبرتني «فران» بمصلحتها في هندسة «كونش» المعماري .. واعتقدت أن بإمكانها تقديم اقتراحات هامة .. لاشيء يغير وجود نظرة جديدة .

صرخت «فران» فرحة :

- أوه ! إن هذا ليسرني جداً .

لم تكن «فران» تحلم أبدا ، بل إنها لم تقرأ حدقتي «جوناثان» الرماديتين إلا من باب الترحيب بالأمر فقط ولكنه صرح قائلا :

- إننا سنتحدث حول هذه الأمور لاحقا .. إن هذه وقبل كل شيء ، لا تتعدى كونها فكرة .. لكنني مندفع جدا الآن للتفكير فيها بصورة جدية ، وسينتابني حتما شعور أفضل بعد قضاء عدة ساعات في السباحة .

تنفس «لاري» الصعداء قائلا :

- أرجو ذلك .

ثم نهض من مكانه ، كان كرشه واضحا تماما من تحت قميصه القطني ..

- عليّ أن أغادر المكان ، إذ لدي بعد ظهر اليوم ، مواعيد مع المقاولين .

رفعت «فران» رأسها قائلة :

- أما أنا فليس لديّ دروس اليوم.. هل يمكنني أن آتي معك؟

تلعثم «لاري» قائلا :

- أجل ولكن ...

قاطع «جوناثان» الكلام قائلا :

- لا . لا يمكنك .

وتوجه إلى «فران» بالحديث قائلا :

- إنني أريد أن أتحدث معك .. ألا يزعجك أن تبقي هنا ؟

لم يكن ذاك سؤالا .. حسب مالاحظت من لهجته بل أمر ..

ترك «لاري» يدها مودعا ، في حين حدقت طويلا بالأصابع السمراء الطويلة الملتفة حول لون يديها الباهت .

تنفس «لاري» الصعداء قائلا :

www.elromancia.com

– حسنا ، سأتركك هنا الآن .. إنك محظوظة في تمكنك الاختفاء من أشعة الشمس !

رفعت «فران» نظرها في «جوناثان» مباشرة بعد مغادرة «لاري» المكان . كان يمسكها دوما من يديها ، تلك الحركة التي تجعلها ترتعد جدا .. بحيث تهتز كل قطعة من كيانها ويتسارع خفقان قلبها دون توقف ..

أخذ «جوناثان» يتأملها بكل إعجاب ، دون أن تقاطعه أو أن تأتي بأية حركة .. تمتم قائلا :

– كم أنت جميلة ..

بدا صوته الأجش الدافىء وكأنه يداعبها وتذكرت فجأة القبلة التي تبادلتها معه في تلك الليلة الرطبة ، منذ عدة أشهر مضت .. حاولت «فران» التخلص من سخطها على نفسها ، وعلى قلبها بشكل خاص ، دون أية رحمة أو شفقة في حين لم يكن «جوناثان» يسعى وراء محاولة لفت نظرها إليه أو جذبها نحوه بدأ تنفسها يعلو وأحنت رأسها ..

– «فران» ؟ انظري إليّ ..

أطاعت الأمر ، دون أي تذمر ، يبدو أنها متألمة جدا .. ربما كانت تحلم عندما اعتقدت أنه يقرأ نظرة التأمل في نظرتها ..

– إنني أريد منك أن تصغي لي . ما الذي تشعرين به تماما ؟

كيف بإمكانها الرد بكل وضوح و صراحة على مثل هذا السؤال ؟

وعاد السيد «جوناثان» يؤكد :

– هل إمساكي ليدك ، يبعث الاشمئزاز في نفسك ؟

قالت «فران» بكل صراحة :

– لا أبدا .. إنني .. بل إنني وجدت هذا الأمر رائعا في بادىء الأمر ..

– ثم بعد ذلك ؟ !

– أصبحت أشعر بالاشمئزاز ، ولكن .. من نفسي فقط .

ثم انتابتها رجفة لم تستطع إخفاءها ، مما دفعها إلى البكاء بصوت مرتفع .. شدها «جوناثان» إلى ناحيته ، وضمها ولكنها جهشت بالبكاء ..

www.elromancia.com

توقفت دموعها فجأة عن الانهمار ، كما انهمرت فجأة ..

ثم همهمت قائلة :

- إنني لا أفهم ماذا حصل معي ، فأنا عادة لا أبكي أبدا ..

- إن على الرجال أمثال والدك أن ..

ثم توقف «جوناثان» عن إتمام جملته ، قبل أن يتيح المجال أمامها حتى لتسأله عما يراه في والدها ضمن كل هذه المآسي وقادها بكل لطف ولباقه نحو مكان إقامتها في المنزل .

- هيا اذهبي وارتدي بدلة السباحة .

وما هي إلا ساعة حتى عاد «جوناثان» وهو يرتدي المايوه ويقف على حافة المسبح الكبير مستطيل الشكل .. كان جسمه يلتمع تحت أشعة الشمس وكأنه الدلفين ..

انبهرت «فران» به ، وقالت متضايقة :

- لقد ربحت !

كانت «فران» تبدو في بدلة السباحة جميلة وشابة .

قام «جوناثان» بالدوران عدة مرات حول «فران» قبل أن يسقط في مياه المسبح ليمارس سباحة الكرول بكل إتقان ودقة ..

رفع «جوناثان» رأسه عاليا ، خارج المياه ، مباشرة لدى وصوله إلى الهدف .. ظهرت أسنانه البيضاء ، من خلال ابتسامته وهي تلمع في وجهه الشاحب .. وتصوّرت «فران» من خلال تعابير وجهه، أنه سيلقي بملاحظة تدل على ضيقه وتذمره . ولكنها فوجئت به يضع يده على رأسه ، ويعود إلى المياه ، قبل أن يدع الفرصة مفتوحة للفظ أية كلمة ..

أطلق «جوناثان» ضحكة عالية ، قبل اختفائه في الماء ، بحركة ذهول إيمائية .. ولكن لم تستمر ضحكة «فران» ومرحها لفترة طويلة .. إذ أحست فجأة بقبضة حديدية تحيط بخصرها وترميها داخل المياه .

عادت «فران» وظهرت علي سطح المياه ، في حين قدم «جوناثان» ودفعها إلى الأعماق ..

وصرخت «فران» راجية ومحاولة أن تستنشق الهواء :

- لا ! لا تفعل ذلك !

ولكنها ، عادت وانفجرت بالضحك من جديد ..

وهددها وهو يضحك أيضا :

– انتبهي ! أنت الآن في موقع دوني وسفلي ؟ !

وابعدت «فران» بحركة عصبية شعر «جوناثان» الأسود عن وجهه إلى الخلف ، وبدا وجود بريق يلمع في عينيه الرماديتين ، ثم ما لبث أن أعطاها قبلة سريعة جدا ، متحديا بذلك جميع تخيلاتها وتصوراتها . خرج الاثنان من الماء دون التفوه بأية كلمة ، وتمددا على كرسين ثم ما لبث «جوناثان» أن أغلق عينيه

إستغلت «فران» فرصة استغراقه في النوم ، لتتأمل ملامحه وتتفحصها بكل هدوء ..

كم تبدو عضلاته مفتولة وهو يرتدي لباس السباحة أخضر اللون .

ترى ما هي المعجزة التي تجعله محافظا على لونه البرونزي ، رغم سفره المتواصل وتنقله أثناء عمله ؟ ربما لا يكون لديه وقت فراغ كاف لقضاء عدة ساعات طويلة تحت أشعة الشمس ..

وفجأة قطبت «فران» حاجبيها لدى ورود هذه الفكرة إلى ذهنها :

– بماذا تفكرين يا «فران» ؟

التفتت إليه مرتبكة ووجهها ملون باحمرار الخجل .

فهي لم تلاحظ أبدا أنه كان يتفحصها –هو أيضا– بكل دقة، من خلال النظر إليها من تحت جفونه المسدلة .

كذبت عليه مجيبة :

– لا . لا أفكر في شيء .

– إلى أين وصلت في دراستك ؟

بدأت «فران» تروي له ما تعلمته ، وذلك من باب الحذر في تغيير مجرى الحديث .. كانت تتوقف مرات عديدة عن الكلام ، ظنا منها أنه نائم .. لكنه كان يطرح عليها السؤال بشكل يمكنه من سماع الرد بكل تؤده وتأن .

– وكيف تسير الأمور مع «الينور» ؟

– رائعة ، فهي لطيفة جدا ، وأحب العمل معها .. وربما ستقوم فيما بعد بتقديم شيء مالي بعد كل هذا .

كانت «فران» تحس أمام «الينور» بأنها فتاة صغيرة جدا وقليلة التجربة كثيرا ، فهي امرأة متعددة المواهب تملك محلا للملابس الجاهزة في «كي ويست» إضافة إلى امتلاكها محلات أيضا في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية .. ووجود العديد

من المجلات النسائية التي تخصص لها - في أغلب الأحيان - ريبورتاجات أو صورا لموديلات ملابسها الجديدة . هذا ولم تتأخر «فران» كثيرا في إدراك وجود علاقة معرفة بين كل من صاحبة هذا المخزن و«جوناثان» نفسه ، وأن هذه العلاقة تعود إلى فترة بعيدة جدا ..

كانت « فران » تشك في قيام « جوناثان » نفسه بالطلب من « الينور » أن تنقذ ما يطلبه منها .. وفي أن تكون أيضا الدليل أمام «فران» في أولى خطواتها داخل هذا العالم المختلف عن عالمها ، الذي تقودها فيه الصدفة إلى التطور والتغيير ولو فترة معينة .

قال لها «جوناثان» مخاطبا :

- تعتبر «الينور» سيدة أعمال ممتازة ، كما أنها تتمتع أيضا بصفات إنسانية .

تمكنت «فران» من التقاط نبرة تأمل في صوته ومن البرهنة لنفسها على وجود نقطة غيره .. ترى ما الذي بين « الينور » و«جوناثان»؟

تمددت «فران» على كرسيها ، وأغلقت عينيها ، لتغرق في أفكارها .

ترى ماذا يريد منها «جوناثان» أن تعيش وفق مخططاته ؟ إذ لم يكن هناك ما يرمي بنفسه وسط هذه المتاهات دون سبب حقيقي وراء ذلك ، ولكنها حاولت كثيرا أن تقلّب المشكلة على جميع الاتجاهات ، ومع ذلك ، فهي لم تتوصل إلى أيجاد أي تفسير واضح لما ظل بالنسبة لها أمراً غامضا .

ما لبثت «فران» أن اعتادت على حياة الرفاهية بشكل سريع.. ولكنها أنفت منها في نفس الوقت غضبا وضيقا من فكرة العيش تحت منزل «جوناثان» وتناول الطعام معه على نفس الطاولة وحتى قيادة السيارة التي قدمها لها .. وأن تقوم بكل ذلك دون التمكن من التراجع ! ..

ففي صباح أحد الأيام ، دخل «جوناثان» عليها وأخذ بيدها خارج المنزل ، ليريها سيارة الـ«تريومف» التي أحضرها :

- إنها لك يا «فران» ..

- ولكنني لا أقود السيارة ! ..

– يمكنك هنا أن تتعلمي القيادة خلال بضعة أيام .. إنك بحاجة ماسة إلى السيارة للذهاب إلى العمل أو الدراسة ..

– أنا لديّ دراجتي الهوائية .

تلك الدراجة التي أصبحت غير ضرورية ، منذ أن بدأت العمل في محل «الينور» . إذ كانت أحذيتها ذات الكعوب العالية وفساتينها الأنيقة لا تتناسب إطلاقا مع ركوب الدراجة وغير عملية للدوس على دواستها كما كانت تفعل عند ارتدائها بنطلونات الجينز القصيرة !

ازداد فضل «جوناثان» عليها .. ولم تعد تدري ماهي الطريقة التي يمكنها أن تشكره بها ؟ ترى ماذا سيكون بإمكانها أن تقدم لـه ، هي التي لا تمتلك شيئا خاصا بها ؟

ولمعت في أحد الأيام فكرة في رأسها :

– «جوناثان» ؟

تقابلت عينا كل منهما ، وبدأت ترتعد من نظراته إليها ، دون أن تجد التفسير لهذه الرجفة .. ثم ما لبثت أن توجهت إليه قائلة بكثير من الحذر :

– لقد اقترح عليّ «لاري» أن أعمل في إعادة ترميم وتجديد منازل الـ«كونش» القديمة .. ما هو رأيك حول هذا الموضوع ؟

اعتقدت «فران» للحظة أنها رأت في عينيه نظرة تشبع غضبا ، ولكنه سألها بصوت هادىء :

– هل أنت مبسوطة مع «لاري» ؟ كيف تجدينه ؟

أجابت بحرارة :

– إنه رائع .

لم تكن تحلم في هذه المرة التي نظر إليها نظرة مليئة بالعدوانية الواضحة ، في حين استطردت قائلة :

– يمكنني على كل حال إيجاد العديد من الأصدقاء ! ولاري لطيف جداً ومن ثمّ ..

انتظرت قليلاً قبل أن تضيف قائلة :

– ومن ثمّ فأنت تفوقه لطافة ! وأنني أريد أن أقدم لك شيئا ، أن أقدّم خدمة تكون أنت بحاجة لها ..

ظل «جوناثان» صامتا بضع دقائق قبل أن يفتح فمه قائلا :

– قد يكون من الأفضل لك العمل معه ..

www.elromancia.com

صرخت فرحة :

- سأسارع لأخبره بأنك موافق !

- سنذهب لرؤيته نحن الاثنان معا .. ولكنني سأوضح لك - قبل كل شيء - نقطتين هامتين .. أولاهما : يخشى على «لاري» من خطر الوقوع في حبك - هذا إذا لم يكن قد حصل فعلا ! .. ثانيهما : لا تنسي بأنك ستبقين تحت مراقبتي وإشرافي حتى نهاية العام .. ويمنع عليك من الآن وحتى انتهاء تلك الفترة ، طرح مسألة الزواج أمامي ...

ظلت «فران» صامتة .. فهي لم تعلم بماذا سترد على ما تسمعه ..

وأخيرا توجهت إليه قائلة :

-لِمَ تفترض أن يقع «لاري» في حبي ؟!

بدت القسوة تشتد على ملامح «جوناثان» ولكنه عاد إلى طبيعته من جديد وظهرت ابتسامته على شفتيه من جديد وقال وهو ينهض :

- لا شيء .. والآن اذهبي وحضّري نفسك سريعا ! ..

خيّب هذا الرد - غير المنتظر - أمل «فران» بشكل كبير .

إلا أنها أطاعت الأمر دون احتجاج

ها هما «فران» و«جوناثان» يجتمعان بعد فترة مع «لاري» داخل منزل «كونش» القديم ، حيث كان يتحدث مع المقاولين .. اقتربت منه «فران» وأعلنت :

- لقد قال لي «جوناثان» أن بإمكاني العمل معك ! في حال موافقتك ، طبعاً !

ارتسمت ابتسامة على وجه «لاري» أضاءت وجهه :

- أنت تعلمين أنني موافق !

أخذت « فران » تنصت إلى الحديث حول تقنيات العمل ، ثم تابعت الرجال خطوة خطوة .. كانت مولعة بتعلم كل شيء والألمام بالحديث الذي يدور لدرجة أن الساعات مرت دون أن تدري ..

وما إن دخلت لتغير ثيابها للمرة الثالثة في هذا اليوم ، حتى وجدت نفسها وكأنها سندريلا في حفلتها .. وهذا كثير بالنسبة لها . ولكنها تمتمت قائلة :

www.elromancia.com

- لا تنسى بأن كل هذا سينتهي مع نهاية السنة .

ذلك لأنها كانت تتناسى في بعض الأحيان وضعها المؤقت هذا . ترى ماذا سيمكنها أن تفعل عند انتهاء فترة العقد الذي أبرمته مع «جوناثان» ؟ الأفضل ألا تفكر كثيرا بهذا الأمر ..

بدأت «فران» تهيئ نفسها لارتداء ملابسها بكل عناية ، من أجل العشاء . دق باب غرفتها ، وهي مازالت تعارك سحاب فستانها الأبيض الطويل :

- أدخل .

حتما ستكون واحدة من اثنتين : إما «جوانا» أو «ماريا» وبالتالي سترحب بمساعدتهما .

ولكن احمرّت خجلا عند رؤيتها القادم إلى غرفتها ، وبدأت تبذل قصاري جهدها لإغلاق سحاب الفستان ولكن عبثا ..

أمرها «جوناثان» قائلا :

- استديري !

بدأت نبضات قلبها تتسارع ، وأطاعت الأمر دون احتجاج .. وأحست برطوبة النفس على جسدها وبرعشة أصابتها .حينما

ساعدها في تغيير ملابسها .. إنها ترتعد من أعلى رأسها وحتى أخمص قدميها .

تمتمت قائلة :

- شكرا .

كانت «فران» تأمل من كل قلبها ألا يلاحظ «جوناثان» نبضات قلبها المتزايدة .. ابتسم في وجهها مما زاد من جمال وعنوبة قسمات وجهه في حين كان يحاول أن يتفحصها بكل دقة دون النبس ببنت شفة .

وأخيرا صرح لها قائلا :

- لديّ هدية أريد أن أقدمها لك .

أخرج من جيبه علبة مجوهرات وفتحها ، ثم قدمها إليها مفتوحة ، حيث لمع في عينيها بريق حجر الزفير الضخم المحاط بأحجار الماس .

قام «جوناثان» بوضع هذا الخاتم الرائع في اصبع «فران» الأيمن .

- هل أعجبك ؟

www.elromancia.com

- إنه .. رائع .

مازالت عينا «فران» تلتمعان فرحا ، وتشعان بنقاوة لونهما الأزرق التي تماثل الحجر الثمين الذي تتأمله دون التجرؤ على التنفس.

انقضت لحظة المفاجأة الأولى .

سألته «فران» بلهجة جادة :

- «جوناثان» ، كيف ستفسر هذا الأمر لأصدقائك ؟

هز «جوناثان» كتفيه "

- لم أمض حتى الآن من الوقت في «كي ويست» ما يجعلني بحاجة إلى التفسير على حد تعبيرك . وفي الواقع الناس سيطرحون الأسئلة حتما ، ولكن كيف يكون الرد عليها ؟ هل لديك أي فكرة حول هذا الموضوع .

رفعت « فران » عينيها في وجه « جوناثان » .. وفجأة أحست وكأن رجلاها لا تحملانها .. ترى لِمَ كانت رجلاها بهذا الضعف ؟!

ردت «فران» قائلة :

- يمكنك القول - على سبيل المثال - بأننا أبناء عم من جهة قريبة بعيدة وأنك عثرت عليّ هنا في «كي ويست» صدفة .

أخذ «جوناثان» يفكر قليلا ، ثم رفع رأسه بالنفي .

- علينا أن نجد تفسيرا أكثر إقناعا .. فالناس ليسوا حمقى لهذه الدرجة !

نظر «جوناثان» إلى عيني «فران» ، التي قطعت أنفاسهما بسؤالها :

- ما هو ... ما هو التفسير مثلا ؟

توجه «جوناثان» بنظرة نحو الخاتم الذي سبق أن وضعه في يدها منذ لحظات .

- يمكننا القول .. بأنك خطيبتي ؟

فوجئت «فران» بالتفسير ..

- هذا لن يحدث ! إذ لا يمكن لأحد أن يصدق أنك وأنا ...

ثم ضحك ملمحاً :

- لن يكون هناك من سيفاجأ بخطبتنا ، كوني مقتنعة بذلك ! مقتنعة .. ! إنها بعيدة كل البعد عن هذه الكلمة .

www.elromancia.com

- «جوناثان»

هل تريد حقا ، وبكل صدق وإخلاص أن يعتقد الناس .. في وسطك ومجتمعك ، أريد القول ...

قاطعها قائلا :

- ستقدم لنا هذه الخطوبة الحل الذي نحلم به ، والذي يبعدنا عن أية مشكلة . سنعلن هذا الأمر مساءً أمام لاري

- لا ليس أمام «لاري» .

قطّب «جوناثان» حاجبيه :

- لِمَ ليس أمام «لاري» ؟!

- إنه صديقك .. وصديقي أيضا .. علينا أن نقول له بأن هذه حيلة ! إنني لا أريد أن أخدعه هو بالذات ، وأكذب عليه !

- إن على «لاري» أن يعتقد كغيره بأننا سنتزوج قريبا . إنني مصر على ذلك .. وسأقوم أنا بإبلاغه ..

أخفقت « فران » رأسها ، وهي خجلة من احتجاجها . بل على العكس كان عليها أن تشكر « جوناثان » على اقتراحه لأن

هذه الخدعة الصغيرة لم يكن لها إلا هدف واحد ، وهو حمايتها من الأقاويل والشائعات التي ستنتشر في «كي ويست» ، كما هو الحال ، للأسف في أي مكان .. هذا ولم يكن أمامها - على كل حال - أي خيار .. أتريد هي هذا الأمر ، إذ كانت بكل بساطة - غير قادرة على مقاومة إرادة هذا الرجل .

♥ ♥ ♥

www.elromancia.com

الفصل السادس

فوجىء «لاري» بإعلان مثل هذه الخطوبة ، لدرجة أنه لم يبد أي تعبير أو كلمة .

أحمرّ وجهه من الخجل الشديد ، ونظر بعينيه اللوزيتين إلى «فران» كان لديها شعور وكأنه صديق مخلص وهو ينظر إليها .. صديق مخلص ضربته بقبضة يدها ..

كانت تتمنى أن تصرخ قائلة : « ليس الأمر كذلك ، يا «لاري»، لقد سبب هذه الخديعة ، الألم والمعاناة لـ«فران» فهو - في رأيها - لم يكن يستحق مثل هذه المعاملة .. خاصة وأنه تبدو عليه التعاسة ؟ لدرجة أنها لم تصادف في حياتها تعبير خيبة أمل كهذا الذي تراه على وجه «لاري» ..

وأخيرا ، تمكن من فتح فمه ، وتقديم التهاني لهما ..

وتذكرت «فران» - آنذاك - عبارات التحذير التي وجهها «جوناثان» إليها :

- « هناك خطر أن يقع «لاري» في حبك إذا لم يكن هذا قد حصل فعلا ! » ..

تلك العبارة التي وجدتها من قبل غريبة ، أما الآن ... أثبت لها موقف «لاري» ورد فعله صحة عبارة «جوناثان» ولم يعد لديها أدنى شك في وقوعه بحبها ، حيث أخذ يحدق فيها مع الاقتراب منها ، وينظر نظرة يتهمها بالخداع ..

لم يخطر في بال «فران» أبدا فكرة وقوع أي من «لاري» - أو «جوناثان» - في حبها . رغم تأكدها من جمالها .. ولكن هناك اختلاف بين العالمين اللذين يعيش فيهما كل منهم ويمكن القول أنهم عالمان مختلفان إذا كان كل من «لاري» و«جوناثان» ينتميان إلى عائلات كبيرة كما وأنهما تلقيا التعليم والتربية الممتازين ، كما كانا - منذ صغرهما - يستفيدان على نطاق واسع ، من جميع متطلبات الحياة .. الرفاهية والثقافة ، والرياضة الترفيهية والرحلات .. ابتلعت «فران» ريقها وفكرت .. ترى ماذا تفعل هي هنا بين هذين الرجلين الثريين ، وهي ترتدي فستانا رائعا وتضع في أصبعها خاتما باهظ الثمن ؟

أحست «فران» وكأنها تعيش قصة خيالية حديثة .. ولكنها لم

تجهل أبدا ، في حال أن كل ما يحدق كان نتيجة فرك الفانوس السحري ، فلابد من نهاية لهذه الرواية الاسطورية ، نهاية سريعة.. ولكن متى ؟

وأخيرا توجه «لاري» إليهما بالسؤال قائلا :

– هل تنويان .. اه .. هل تنويان إعلان خبر خطوبتكما على الملأ ؟

استدارات «فران» باتجاه «جوناثان» الذي ظل صامتا ، ثم ما لبث أن أردف قائلا بصوت منخفض :

– ستقوم «الينور» بالدعوة إلى حفل استقبال خلال عطلة نهاية هذا الأسبوع . وهناك سأقدم «فران» أمام مجتمع «كي ويست» ، الذين سيجتمعون بهذه المناسبة.

ازدادت دهشة «فران» .. فهي لم تكن تعلم بما تخطط له «الينور» من إقامة حفل استقبال ، إذ كانت فكرة مصاحبة «جوناثان» إلى هذا الحفل واكتشاف أصدقائها لهذا الأمر ، تزيدها اضطرابا وتوتراً .

انسحب «لاري» من المكان متحججا بإصابته بالتعب والإرهاق

من العمل طيلة اليوم ..

تركت «فران» الطاولة بعد خرُوجه ، وتوجهت خارجا ، حيث وقفت وذراعاها متعانقان على صدرها ، في حين تداعب أصابعها كتفيها بعصبية واضحة وهي تفكر .. كان عليها أن تقنع «جوناثان» بسخرية هذه الخديعة . ترددت «فران» في الحديث ، وفجأة جاءها صوت «جوناثان» :

– هل تشعرين بالبرد ؟

فوجئت «فران» بصوته ، وبوجوده قريبا جدا منها ، حيث أخذها بين ذراعيه بكل لطف .بدأت «فران» ترتعش ولكن ليس بسبب البرد .. ثم تملصت قائلة :

– «جوناثان» ...

رفع «جوناثان» رأسه ، وهو ما يزال يداعبها

– «فران» ماذا هناك ؟

– تبدو تصرفاتك غريبة هذا المساء ؟

– جدا ، لأنني أجد أنك لم تقومي بلعب دورك بشكل مقنع ، لذا أريد أن أشعر بأنك خطيبة مبتهجة ومليئة بالسعادة .

كيف بإمكانه أن يحافظ على هدوئه هذا ، ترى ألا يسمع دقات قلبها المتواصل ؟

- «فران» ثقي بي تماما ..

ترددت «فران» قليلاً ، ثم قالت .. نعم ..

في حين أجبرها «جوناثان» على رفع وجهها في وجهه . حيث بدت لها ابتسامته الساخرة محيّرة أكثر من أية مرة .

سخر منها بكل لباقة قائلا :

- لا تقولي بأن ثقتك الآن كاملة .. ولكن هذا الحال أفضل من عدم وجود ثقة أبدا !

كان يحيطها بذراعيه دوما ، ويشدها إليه باستمرار .

- ثقي تماما لم أطلب منك أبدا ما يفوق طاقاتك وقدراتك . إن مدعويي «الينور» مشتاقون للتعرف عليك .. وهناك من بينهم شخصيات بمنتهى الجاذبية ، سترين ذلك .. وليسوا أغوالا ، بل شياطين .

وأضاف بعد فترة قليلة من الصمت قائلا :

- ولا تنسي أيضا أنني سأكون معك .

قد يُعتقد بأنه يتحدث إلى فتاة صغيرة مرتاعة ولكن «فران» لم تنبهر بهذا الكلام .. لقد كان يحدثها بعنوبة . أكدت «فران» له قائلة :

- إنني .. إنني سأبذل أقصى جهدي .

- حافظي دوما على الظهور بشوشة ومتفتحة ! إذ قد يكون بالإمكان وجود غرابة في أية حركة تراجع عندك ، عند كل مرة أجدك فيها أكثر تقدما .

- هذه ليست غلطتي ..

تأسفت لجوابها هذا وهي ترى وجه «جوناثان» مقتضبا ثم وجه إليها بصوت حاد ، ملاحظة قائلا :

- إنني لم أر عندك رد الفعل نفسه عندما يلمس «لاري» ذراعك أو كتفك !

- هذا شيء طبيعي ! إن هذا يجعلني مختلفة تماما ، في حين أنك ..

- لقد اعتدت عليّ ، على لمساتي . يجب - على كل حال - أن يكون الأمر كذلك . إعتمدي عليّ .. وثقي بي ! ..

لم تأت «فران» بأية حركة ، لدى قيام «جوناثان» برفع وجهها بين يديه وطبع قبلة عليه .

– أنت هنا يا « جوناثان » ! .. وحراسك الاثنان لا يدعاني أدخل ؟!

امتعضت «فران» لدى تعرفها على المرأة الشابة الشقراء ، التي سبق ورأتها مرتين ، علي رصيف الميناء أولا ثم في الـ «كازامارينا» ثانياً ..

كانت ترتدي في هذا المساء فستانا طويلا أسود ضيقا ، واقتربت هذه المرأة من «جوناثان» وهي تمد ذراعيها نحوه ، دون الانتباه إلى وجود «فران» ..

– يبدو أنك فوجئت برؤيتي ! رغم أنني أخبرتك في الأسبوع الماضي بإنني سأسارع إلى إنهاء أموري ، لآتي إلى هنا حيث ارتاح تحت أشعة الشمس في «كي ويست» ..

ثم أضافت متحدية :

– ولكن إذا كنت أضايقك ، فإن بإمكاني استقلال سيارة أجرة والعودة إلى «كازامارينا» ..

توجه «جوناثان» نحوها ، وطبع قبلة على شفتيها .

بدأت دقات قلب «فران» تعود إلى طبيعتها ، وقررت اتخاذ أمر الانتقام .

سمعت صوتا يتردد بلهجة استغراب :

– «جوناثان» ! إنك لم تقدّم لي .. صديقتك !

ارادت المرأة بهذا السؤال أن تلفت النظر إليها مباشرة .

كما بدأت هذه المرأة الشابة الشقراء تنظر إليها بازدراء .. مما دفعها للشعور وكأنها حشرة يمكن القضاء عليها .. بضربة عصا واحدة .. في حين ظل وجه «جوناثان» خاليا من أي تعبير ..

وأخيرا سمعت صوته يردد :

– اعذراني ، «أنا تايلور» ، «فران برايت»

وأشار لهما ، بحركة لا إرادية بالجلوس :

– تعالا لنجلس ونتناول كأسا ، ماذا تريدان أن تشربا ؟

أجابته المرأة الشقراء قائلة :

– كالعادة ، يا عزيزي .

www.elromancia.com

كانت «أنا» تتمايل وتلتفت كالهرة محاولة لفت أنظار «جوناثان» إليها ..

- إذن فأنت تريدين شرب مارتيني .. وأنت يا «فران» ؟

هل تفضلين تناول كأس من عصير البرتقال ؟ ..

حاولت «أنا» إخفاء ابتسامة ساخرة .

أجابت «فران» وهي ترد على سخرية «أنا» :

- إنني أفضل تناول الويسكي يا عزيزي ! ..

بدأت «فران» تتساءل ما هو السبب في تحرك الشيطان داخلها ، ذاك الشيطان الذي دفعها لطلب تناول مشروب كحولي ، وهي التي لا تشرب الكحول أبدا .. بدت المفاجأة على وجه «جوناثان» ، في حين خشيت «فران» من أن يعلّق بكلمة أو أن يرفض إعطاءها ما تريد .. هنا ستكون خيبة الأمل !! ..

سارعت «أنا تايلور» بعد خروج «جوناثان» إلى سؤال «فران» قائلة :

- ماذا تفعلين في هذه الأيام ... آه ... «فران» ؟ هذا هو اسمك ، أليس كذلك ؟

أجابت «فران» وهي تجبرها على عدم رفع التكليف بينهما :

- أجل ، أما ما أفعله ، فإنني أعمل وأتلقى الدروس كما أقوم بمساعدة «لاري» بينغهام في إعادة ترميم منازل «كونش» القديمة التي اشتراها «جوناثان» في «كي ويست» .

- إنني أرى ...

من الواضح تماما تضايق «أنا تايلور» - على وجه الخصوص - من طبيعة العلاقة القائمة بين «جوناثان» و«فران» ، ولكن كان من الصعب طرح هذا السؤال بشكل مباشر .

- هل أنت طالبة في الهندسة المعمارية ؟

- لا . ولكن هذا لا يمنعني من الاهتمام بالعمارة على نطاق واسع وخاصة تلك المتعلقة بالجزيرة ..

- كيف تم التعارف بينك وبين «جوناثان» ؟

- أوه ، عن طريق الصدفة ..

شعرت «فران» وكأنها ممثلة في هذا الحوار .. ولكن كان يصعب عليها الوقوف أمام هذه المرأة المتكلفة الواثقة من نفسها إلى هذه الدرجة ، على طبيعتها البسيطة .

وأنت ؟ .. ماذا تعملين ؟

لمع بريق عدواني في عيني «أنا تايلور»

صرخ «جوناثان» متعجبا وهو عائد إليهما :

- إنني على عجل من أمري لسماع جوابك ! .. حقا ، ماذا تعملين يا «أنا» ؟

وهكذا تمكن «جوناثان» من تحويل الحديث إلى كلام مسلٍ ، حيث يبدو أنه لم يكن مؤيدا للجدال الذي أخذ يتطور بين الاثنتين ..

- «جوناثان» ، إنك تعلم تماما أنني لست بحاجة للعمل ، كما إنني لا أريد ، لأي سبب مهما كان ، أن أحجز عملا يحتاجه غيره لكسب قوت يومه ..

ثم التفتت «أنا» إلى «جوناثان» ، قائلة بلهجة ودلال :

- تعال واجلس هنا بقربي ، وأشارت بيدها إلى كرسي بجوارها ..

نفذ جوناثان ما طلبته ، ولكنه أزاح الكرسي حتى أصبح بالمنتصف بينها وبين «فران» .

أخذت «فران» كأسها ورفعته لترتشف منه الرشفة الأولى .. أحست بحرقة الكحول في حنجرتها ، ثم بدأت تسعل ..

سألها «جوناثان» بلهجة ماكرة :

- نوعية الويسكي غير جيدة ، أليس كذلك ؟

ردت «فران» مؤكدة وهي تبتسم :

- إنه ممتاز !

كانت «أنا» تنقل نظرها بين «فران» وجوناثان . وقطبت حاجبيها قائلة :

- لدي شعور بأنني سبق ورأيت «فران» في مكان ما ، ولكنني لا أتذكر أين ؟ !

ثم عدلت من جلستها فجأة وصرخت :

- آه ، لقد عرفتها ، إنها المغنية .. إنها تلك الفتاة الهيبية التي كانت تغني ..

وارتعدت قائلة :

- كانت تلك أنت ، أليس كذلك ؟

كانت «فران» قد شربت كأس الويسكي بأكمله ، ويبدو أنه لم

يعد بإمكانها ربط أي شيء ، فقد دار رأسها من الكحول ، لذا ردت قائلة :

– أجل ، كنت أنا ..

جواب لم تكن «فران» لترد به لولا حال السُكر التي وصلت إليها .

ثم مدت يدها نحو «جوناثان» قائلة :

– هل بالإمكان أن تصب لي قليلا من الويسكي أيضا ، من فضلك ؟

لِمَ لا ؟ وأنت يا «آنا» ؟

مضى «جوناثان» مسرعا لملء الكأسين .

في حين التفتت «آنا» إلى «فران» وهاجمتها قائلة :

– إنك صغيرة السن بالنسبة لرجل في مثل عمر «جوناثان» .

أجابت «فران» ببرود :

– أهذا ما ترينه أنت ؟ . ولكن ليس هذا رأيي ، ولا حتى رأي «جوناثان» .

رفعت «فران» يدها اليسرى ، حيث التمع حجر الزفير

الضخم وأحجار الماس المحيطة بالخاتم الذي تضعه في اصبعها وقالت :

– انظري .

أصيبت «آنا» بالذهول :

– أيتها الشيطانة الصغيرة ! .. هل تعتقدين حقا بأن «جوناثان» سيتزوج فتاة مثلك ؟ !

– سيتم إعلان خطبتنا بشكل رسمي ، أثناء حفل استقبال تقيمه «الينور» ، خلال نهاية عطلة هذا الأسبوع .

أحست «فران» شيئا فشيئا بالثقة تزداد في نفسها .

لذا أضافت قائلة :

– إنك تعرفين «الينور» حتما ؟

لم يكن هناك وقت أمام «آنا» للإجابة إذ عاد «جوناثان» مع الكأسين . لذا توجهت إليه بالحديث قائلة :

– كانت «فران» تروي لي قصة لا تُصدَّق ، يا عزيزي ! سمعت أنكم ستعلنان خطبتكما ؟! ..

وانفجرت آنا بالضحك لتشير إلى مهزلة مثل هذا الحدث ..

كرر «جوناثان» قائلا :

- لا تُصدَّق ؟ ! إن حظي هو الذي أجده أمراً لا يُصدَّق ! إنني مندهش من حديث «فران» أمامك بكل هذه الصراحة فقد كانت تفضل الاحتفاظ بهذا السر لبعض الوقت.. إذ أمضيت وقتا طويلا في إقناعها بقرار إعلان هذا الخبر الجميل أثناء عطلة الأسبوع القادمة ..

وضع «جوناثان» كأس «فران» على الطاولة . وبقى واقفا خلفها يتحدثان .

كانت «آنا» تنظر إليهما نظرات عدوانية !

وأخيرا تفوهت قائلة :

- ماذا يعني كل هذا ؟

صرح «جوناثان» أمامها بلا مبالاة :

- لن أبقى أعزب طيلة حياتي . كان عليّ أن أقرر الزواج يوما ما .

توارى وجه «فران» خلف كأسها الذي رفعته إلى أعلى لترتشف ما تبقى فيه ، مازال طعم الكحول بالنسبة لها سيئا .. ولكنها لم تسعل أبدا .

عاد «جوناثان» ليقول مخاطبا آنا:

- «آنا» إذا كنت ستبقين في «كي ويست» ، فنحن سنلتقي حتما عند «الينور».

ارتسمت على شفتي «آنا» ابتسامة ماكرة وقالت :

- إذن ، فإن خطيبتك تسمح لك برؤية عشيقاتك السابقات ! ..

وأخيرا وصل السهم إلى هدفه .

إذ كانت « فران » تتساءل دوما عن طبيعة العلاقة التي تربط « الينور » بـ« جوناثان » . وها هي وصلت - في هذه المرة - إلى ما تريد .

بدأ كل شيء يدور من حولها ؟ .. ترى هل السبب هو هذا التصريح ؟ أو السبب إكثارها من تناول الكحول ؟ إنها لم تعد قادرة على التمييز ..

أخذت تحس شيئا فشيئا بعدم القدرة على متابعة ما يدور من حديث ..كانت تريد أن تضع كأسها الفارغة على الطاولة ، ولكن بدت لها حتى هذه المهمة صعبة ومنهكة لقواها . إذ كان عليها

www.elromancia.com

أن تركز جيدا وبكل جدية حتى تصل إلى تحقيق ما تريد وها هو الكأس ينكسر بالقرب من قدميها ، إلى ألف قطعة ، على الرغم من بذل قصاري جهدها لتضعه على الطاولة سليما . كانت تتمنى مغادرة هذه الغرفة والصعود إلى غرفة نومها .. ولكن ترى هل بإمكانها حتى الوصول إلى الباب ؟ !

استأذنت قليلا :

- اعذراني ؟

تمكنت «فران» من النهوض واقفة ، ولكن بصعوبة كبيرة كانت تحس وكأنها تسبح تحت المياه ، حيث تبدو لها الأشياء بغير أشكالها الصحيحة ومشوشة ..

تقدّم « جوناثان » منها بكل حيوية ونشاط وأمسك بها ليسندها .

وصل صوت «آنا» إلى مسامعها ، وكأنه قادم من الضباب ، من مكان بعيد :

- «جوناثان» ، عليك أن تأخذ هذه المسكينة الصغيرة بسيارتك إلى منزلها .

أجاب «جوناثان» ساخرا :

- إنها الآن في منزلها .

كانت رجلا «فران» ترتجفان ولا تقدران على حملها ، فهي تترنح وتتعثر في كل خطوة .. وأصبحت غير قادرة على الوصول إلى درجات السلم دون الوصول إلى درجات السلم دون الوقوع عدة مرات .. ولكن وجود «جوناثان» بجانبها واستنادها عليه منعها من الوقوع أرضا ..

وما أن ابتعدا الاثنان عن أنظار «آنا» الغيورة الحاقدة ، حتى رفعها «جوناثان» وحملها ثم تمتم في أذنها قائلا :

- أيتها الشيطانة الصغيرة .

أحاطت «فران» بذراعيها ، رقبة «جوناثان» وقالت :

- عفوا يا «جوناثان» ..

ثم بدأت تقبله برعونة .. إلا أنه حملها وقادها إلى غرفتها ، حيث مددها على سريرها .

ثم وجه إليها الأمر قائلا :

- والآن ، استديري .

حاولت «فران» أن تطيع الأوامر وتستجيب لطلبه ، ولكن كانت أعضاؤها المسترخية ترفض اتباع التعليمات التي يتلقاها دماغها. دفعها «جوناثان» جانبا بكل لطف وهدوء ليساعدها في فك فستانها لكنها تمتمت قائلة :

– إنني أستطيع أن أتدبر أمري لوحدي .

ولكن «جوناثان» قد سبق قولها وبدأ بالمساعدة . ويبدو أن النوم غلبها فنامت ثم تمتمت قائلة :

– لا تذهب .

كانت تحس بوجود أشياء كثيرة في نفسها تريد البوح بها .. تريد أن تعتذر عن إفراطها في الشرب وعن تصرفاتها تجاه «آنا».. وحتى عن شعورها نحوه .

ابتسم «جوناثان» قائلا :

– نامي الآن يا صغيرتي .

عادت تكرر أمامه :

– لا تغادر .. ليس بعد !

ولكنه غادر الغرفة .

أغمضت «فران» عينيها ، وغرقت في النوم ، حيث حلمت بوجود مشاجرة بينها وبين «آنا تايلور» ، ثم ما لبثت أن تجد نفسها – دون أي إشارة نقل – في الـ«بلاك بيغ» أمام جموع من المشاهدين بينهم « جوناثا ن» و « لاري » ، يجلسان في الصف الأمامي ، دون أن يشجعاها أبدا – على العكس تماما !

كانت تتمنى – في حلمها هذا – الجري على شاطىء البحر والسباحة عدة ساعات .. ولكن أين هو الشاطىء ؟ وكم هي عطشانة .. وها هي يد رطبة تمسح فجأة جبينها المبلل بالعرق ، وترمي بخصلات شعرها إلى الخلف .

تحركت وتمتمت قائلة :

– إنني عطشانة .

وفتحت عينيها ، حيث وجدت أمامها «جوناثان» ، يجلس على حافة سريرها .. ترى ماذا كان يفعل داخل غرفتها ؟

شرح لها مفسراً :

– إنه الكحول !

توجه «جوناثان» إلى الحمام ليأتي بكأس الماء .. جلست

«فران» وظلت تشرب كميات كبيرة من الماء . ثم عادت إلى الاستغراق في النوم .. استفاقت صباح اليوم التالي على صوت المنبه ، وهي متخلصة من شعورها بالتعب ..

فُتح باب الغرفة وبدت «ماريا» وهي تحمل صينية عليها شراب البرتقال ...

شرحت الأمر الخادمة قائلة :

– لقد طلب مني السيد «تالبوت» أن أحضر لك هذا العصير .

وخرجت دون البوح بأية كلمة أخرى ، بعد أن تركت الصينية على الطاولة .

انه عصير البرتقال ! وهو ما تحلم به «فران» ! إذ كانت تحس بجفاف حلقها ومرارة في فمها ..

وما إن ارتشفت بضع رشفات من كأس العصير ، حتى أحست بألم في رأسها .. إنها تشعر بثقل في رأسها وكأنه يزيد أطنانا ..

انتبهت «فران» إلى نفسها .. إنها لم تكن ترتدي قميص النوم ، لذا حاولت جمع أفكارها .. ترى ، ماذا حصل بعد أن

شربت الويسكي ، وتبادلت العبارات القاسية مع «أنا تايلور» ؟!

ثم توصلت ، بعد محاولات قاسية ، إلى تذكر حمل «جوناثان» لها بين ذراعيه .

أحست «فران» أنها أصبحت أفضل من ذي قبل ، خاصة بعد تناولها نصف كأس عصير البرتقال ، وتمكنت من النهوض من سريرها . ولكن مازال رأسها يؤلمها جدا .. ترى كيف بإمكان الناس أن يحصلوا على لذة من شراب الكحول ، مهما كانت ، مقابل أن يقوموا صباحا مرضى بهذا الشكل ؟!

قامت «فران» بممارسة بعض التمارين الرياضية ، مما جعلها في وضع أفضل .. كما أخذت بدلة سباحة ، ونزلت بسرعة حافية القدمين دون التفكير حتى في ارتداء الروب الخاص – كالعادة – فوقه .

كان كل من الحديقة وحوض السباحة خاليين ، لأن الوقت مازال مبكراً جداً . ولكن لم تكن «فران» تتمنى أبدا مقالبة «لاري» أو «جوناثان» ! خاصة «جوناثان» ذاك ..

جلست «فران» على حافة المياه ، لتضع رجليها داخلها

وتحركهما . ثم انزلقت رويدا رويدا داخل الماء ، لتحس بالمياه شيئا فشيئا ، نظراً لإحساسها بحرارة جسمها مرتفعة ..

وتمتمت بصوت منخفض قائلة :

- إنني لا أستطيع حتى السباحة .

وفجأة كان هناك أحدهم يسبح إلى جانبها ، في حين حاولت السباحة ، ولكن انزلقت قدمها ، وتاهت في حركتها ، مما دفع بعض المياه إلى جوفها .. تحركت ، وسعلت محاولة إخراجها ، وهي تقترب من حافة المسبح ..

كان «جوناثان» يسبح بجانبها بحركات منتظمة وثابتة .. لذا قررت الهروب منه قبل أن يكلمها .. وكعادتها ، حاولت الغوص للخروج من المياه ، ولكن لم يحتمل ذراعاها قوة الدفع .. وأصبح من الصعب عليها الارتكاز على بلاط السيراميك في أسفل المسبح سخر منها «جوناثان» قائلا :

- إنك لست على ما يرام هذا الصباح !

وأصبح بقربها تماما .. أدارت رأسها فالتقت نظراتهما .. ولكن ما أدهشها أنها لم تقرأ في حدقتيه الرماديتين أي لوم أو

انتقاد . لم تجد فيهما إلا المزاح والتسلية فقط ...

سألته بلهجة معاتبة :

- لِمَ تركتني أشرب الكحول ليلة البارحة ؟

- لو كنت رفضت أن أعطيك كأس الويسكي ، لأصبحت قادرة بالتأكيد علي المشاجرة مع «أنا» ..

أغلقت «فران» عينيها ، وهي ذائبة من الخجل .. ترى لماذا كانت تحاول التخاصم والتشاجر مع «أنا تايلور» ؟ كل ما استفادته أن كانت محط سخرية ...

- أعتقد أنني كنت حمقاء ...

- ليس الأمر كذلك ! كان أمرا جيداً جداً أن تكوني ثملة قليلاً ..

وخرج «جوناثان» من المياه ، وجذبها من كتفيها لتجلس بجانبه .

ترى هل كانت تنتظر منه هذا الأمر ؟

إنه فقد حتما عقله حتى يدّعي بأن السكر كان بالنسبة لها أمراً جيداً !

وصرخت بكل قوة وجرأة :

- إن الثُملى يثيرون الاشمئزاز .

- هذا بشكل عام أما أنت فقد كنت جذابة وساحرة ..

حدقت «فران» فيه مرتعشة ..

في حين انفجر «جوناثان» ضاحكا :

- لا تخافي ! .. إن يدي لم تمسسك .. وما أنا بالذي يعتبر غيابك عن الوعي فرصة ..

فجأة اتخذت أفكار «فران» منحى آخر . حيث قامت بمحاولات كثيرة لمعرفة الوقت الذي غادرت فيه «أنا تايلور» المنزل ، وفيما إذا كان «جوناثان» هو الذي أوصلها إلى الفندق وفيما إذا... لا إنها تفضل عدم التفكير في هذا الأمر وتصوره ! ..

وتمتمت دون النظر إليه قائلة :

- إنني آمل في أن ... تصرّفي البارحة لم يسبب لك الارتباك؟

- لِمَ ساكون مرتبكاً برأيك ؟

هزت كتفيها قائلة :

- لأن ، لأن ... صديقتك كانت هنا !

وبدا أنه يحاول التسلية :

- هيا ها أنت ستصبحين الآن زوجة غيوره وظنونه عليّ أن آخذ أمر وجودها بعين الاعتبار من خلال تصرفاتي خطوة بخطوة؟

قالت وهي تنهض :

- لا بالتأكيد . لحسن الحظ أنني لن أصبح زوجتك أبداً !

تفوهت بهذه الكلمات وهي تتأجج غيظاً وحنقاً .

في حين انفجر «جوناثان» ضاحكا من جديد ، وما كان من «فران» إلا أن غادرت المكان وركضت مسرعة باتجاه المنزل ، متناسية آلام رأسها ، ليحل محلها صوت ضحكاته التي ظلت ترن في أذنيها . ووجدت نفسها لوحدها في غرفتها . ماذا بإمكانه أن يجد ما هو مضحك في هذا الأمر ؟

أحست «فران» بتحسن أفضل ، بعد أخذها حماما باردا . ارتدت ملابسها ثم نزلت الطابق السفلي ، لتناول فطورها قبل الذهاب إلى العمل .

كانت «الينور» قد وصلت المحل قبلها .. وهي تجلس على كنبه مغطاه بالقماش الحريري الأبيض ، وتدخن أول سيجارة لها مع فنجان قهوتها المعتاد .

– «فران» ! هل تريدين شيئا من القهوة ؟

– لا شكراً ، لقد تناولت فطوري .

نهضت « الينور » من مكانها ، لدى دخول زبونة إلى المحل . أخذت « فران » تتفحصها بدقة ، أثناء استعراضها بعض الموديلات ، ترى هل قالت « أنا » الحقيقة بادعائها أن « الينور » و«جوناثان» كانا حبيبين .

يبدو علي «الينور» تجاوزها سن الأربعين ، ولكنها مازالت تحتفظ بجسم عارضة أزياء . ويزين رأسها شعرها الأسود القصير جدا ، الذي تبدو فيه بعض الخصلات البيضاء .. كانت «الينور» ترتدي ملابسها دوما بطريقة ملفتة للنظر – وكأنها تريد أن تعرض أزياء ترزي مشهور – كما كان مكياجها كاملا ، منذ الصباح .

إضافة إلى النجاح الكبير الذي يحالف حتما امرأة بهذا

الجمال وهذه الأناقة وهذا اللطف واللباقة ..

وتساءلت «فران» ترى ما هي العبارات التي تحدث بها «جوناثان» عنها لـ«الينور» حتى وافقت على أن تجعلها تعمل معها في هذا المحل فائق الأناقة !

ولم يعد أمامها وقت لطرح مزيد من أسئلة ، إذ دخلت إلى المحل زبونة أخرى . ومن ثم لم يفرغ المكان من الزبونات حتى وقت الظهيرة .

توجهت «فران» ساعة الغداء ، إلى فساتين السهرة ، وحاجباها مقطبان لتتأملها الواحد تلو الآخر .

سألتها «الينور» :

– عمَ تبحثين ؟

– إنني أبحث فقط عن فستان ارتديه في حفل الاستقبال ..

واحمرّت «فران» خجلا ، وبدأت تتساءل فيما إذا كان «جوناثان» قد تحدث لصاحبة الحفل عن هدفه في المجيء بصحبتها .. في حين تابعت «الينور» الابتسام موجهه السؤال إليها :

- ما هو الموديل الذي تفضلينه ؟

ترددت «فران» لحظة قبل الإجابة على السؤال :

- إنني أريد أن أبدو أكبر من عمري !

ارتدت فستانا أسود اللون ذا قصات معقدة ، تو جهت إلى المرآه لتتأمله ولكنه لم يعجبها ..

هزت «الينور» رأسها قائلة :

- ما رأيك في ثوب أكثر إثارة ؟

ازداد احمرار وجه «فران» ، عادت «الينور» إليها ، دون أن تبدو عليها ملامح الضيق ، بفستان من الشيفون اللامع برونزي اللون .

لم تستطع «الينور» منع نفسها من الابتسام ، أمام استغراب ودهشة «فران».

- أعلم أنه لا يعجبك هكذا ! ولكن جربيه قبل الحكم عليه يبدو كأنه صنع خصيصا لك .

ازدادت ثقة «فران» برأي «الينور» التي كررت قائلة :

- جربيه !

وأضافت بابتسامة خفيفة قائلة :

- يجب ارتداء هذا الثوب دون صدارة ، أتعلمين ذلك ؟

دخلت «فران» لترتدي الفستان ، ثم ظهرت بعد عدة دقائق وهي تخرج من الغرفة المخصصة للبس وتمتمت قائلة :

- أحس وكأنني بدون فستان ..

قالت «الينور» وهي تتأملها جيدا :

- رائع ، منتهى الروعة !

تأملت «فران» نفسها داخل مرايا بثلاثة وجوه .. ووجدت أن الساتين لا يترك شيئا من تحركات جسدها مخبئة ، خاصة من خلال لمعانه حسب حركاتها .

عادت «الينور» لتؤكد لها :

- إنك رائعة بهذا الثوب ! ..

وجدت «فران» نفسها مقتنعة ...

- صدقيني إن هذا اللون المذهب ينسجم مع لون بشرتك البرونزي ومع شعرك .. إنك لن تجدي أفضل منه .

- سأشتريه .

www.elromancia.com

وأخيرا نطقت «فران» هذه الكلمة .. ومع ذلك ، فلم يكن هذا الثوب باهظ الثمن . كان من الممكن أن يظل غاليا جدا، لم تخصم لها «الينور» من سعره .

كانت «فران» تتجنب قليلا رؤية «لاري» والاجتماع به ، خاصة أنه لم تُتح لها الفرصة بعد للقائه ، منذ الإعلان أمامه عن خطوبتها من «جوناثان» ولكن ها هو «لاري» يأتي بنفسه هذا المساء ...

كانت «فران» مسرورة من استطاعتها التحدث من جديد معه وكأن شيئا لم يحدث .. في حين تشعر في أعماقها أنها تكون بصحبته ضد مية المزاج أكثر من تواجدها مع «جوناثان» الذي كان يحاول دوما أن يخجلها . في حين لم تكن تشعر أمام «لاري» ، بأية حاجة لأية حركة غير طبيعية ..

وظهر عليها تعكر المزاج لدى مغادرة «لاري» المكان لإجراء اتصال هاتفي ، حيث تركها وحيدة مع «جوناثان» هذا الرجل الذي لا يصدق .. خاصة وأن لديها شعورا أيضا بأنه يقرأها وكأنها كتاب مفتوح ..

سألها بكل لباقة قائلا :

– كيف تشعرين ؟

أجابت بلهجة لا مبالاة :

– أفضل بكثير .. في الواقع .. لقد نسيت !

– ياللأسف ..

بدأت «فران» تحاول – دون جدوى – بعد هذا الجواب المختصر غير المنتظر ، البحث عن موضوع للحديث دون مفاجآت .

وأخيرا توجهت اليه قائلة :

– لقد استلمت اليوم رسالة من عمتي ..

– آه صحيح ! كيف حالها ؟

يبدو هذا الرجل دوما بمنتهى اللطافة ، وكأنه جاهز لأية عبارة ، ولكنها أدركت أنه يحاول إغاظتها .

– يبدو أنها سعيدة في حياتها بجورجي .

في الواقع ، ما تزال «فران» نفسها مندهشة من السهولة التي تمكنت فيها عمتها من ترتيب الأمور مع «جوناثان» ولكن لم تتمكن أفكارها حول هذا الموضوع من زيادة توجيه الاتهام إليه ، كما لم تغضب أبدا من عودة «لاري» إلى المكان . وأخيرا غادرت

www.elromancia.com

إلى غرفة نومها بحجة أن «الينور» عمل يجب إتمامه ..

كانت على وشك إضاءة الضوء ، عندما سمعت صوت سيارة «جوناثان» .. ترى إلى أين سيذهب ، في هذا المساء ؟ للقاء «أنا» أم «الينور» ؟ ! ظل هذا السؤال يدور في ذهنها حتى أعياها التعب وأغلقت عينيها مستسلمة للنوم حتى الصباح .

♥ ♥ ♥

الفصل السابع

كان فستان الساتين برونزي اللون يغطي جسم «فران» بدقة متناهية في حين يتساقط شعرها على كتفيها مع عقدة مذهبة تزينه .

أما عيناها، فكانت تلمعان ، وكأنهما قطعتا زفير ، أشد لمعانا من ذاك الذي يزين الخاتم الموضوع في اصبعها .. لم تكن ترتدي أية مجوهرات سواه ، باستثناء سلسلتها الذهبية المتواضعة ، التي تزين عنقها ببريق ولمعان جذابين .

تمتمت قائلة وهي تعض على شفتيها :

– إنني سأكون محط أنظار جميع المدعوين إلى حفلة «الينور» .. وسوف أستحوذ على إعجاب الجميع . أليست هي التي كانت تغني أمام مئات من المشاهدين ، ولن يكون المدعوون إلى حفلة «الينور» أكثر رهبة بالتأكيد ..

تنفست الصعداء وتمتمت بصوت داخلي :

www.elromancia.com

– «أو ، بلى !» بل أشد رهبة لأنهم أصدقاء «جوناثان» ، وهم من نفس طبقته ، وعليها أن تجعله فخوراً بها .. فهو قد بذل كل ما في وسعه من أجل ذلك ! كانت لديها الرغبة من كل قلبها في الرد على انتظاره وخاصة .. ليبرهن لها على أن بإمكانها أن تكون جميلة ومرغوبة مثلها مثل خصومها من النساء .. خصومها .. ولكن كيف يمكن لخيالها أن يسرح بها إلى هذه الدرجة ! كيف تتجرأ على أن تضع نفسها بمستوى «الينور» و«أنا» ؟

لقد أصابها مس من الجنون ...

توجهت فران بكل تأن نحو الباب ، وهي تمسك بالوشاح اللامع والحقيبة المزركشة بألوان مذهبة اختارتهما لها «الينور» نفسها .. وأصبحت الآن جاهزة على مواجهة قرار حكم «لاري» عليها .. وأصبحت الآن جاهزة على مواجهة قرار حكم «لاري» .. عليها .. و«جوناثان» أيضاً ..

ولكن ماذا لو لم يعجبه فستانها ؟ أو ماذا لو وجد في شكلها ، ما هو مثير للسخرية والضحك ؟ أحست بقلبها يتجمد ، لدى مراودتها فكرة الحصول على الدعم من هذه النظرة الرمادية التي تبدو –في أغلب الأحيان– وهي تخترق أعماق أعماقها .

ولحسن الحظ ، فإن «جوناثان» لم يستقبلها أسفل درجات السلم .. إذ لو كان هناك ، فربما ستتعرض لتجاوز واحدة من درجات السلم ، خاصة مع عدم إحساسها بعدم الراحة من خلال الحذاء الجديد الذي ترتديه ..

توجهت «فران» إلى الصالون مباشرة ، وما إن دفعت الباب ودخلت ، حتى التفت «جوناثان» ولاري إليها بنفس الحركة ..

توجهت «فران» في – بادىء الأمر – نحو «لاري» وهي تبتسم قائلة :

– انتظرني ؟ أرجو ألا أكون قد تأخرت ..

وأخيرا تجرأت ، وهي متسلحة بنظرة تأمل ، إلى رفع عينيها باتجاه «جوناثان» .

أبدى «جوناثان» ، مع خيبة الأمل الكبيرة التي مُني بها .. سروره من خلال الإشارة برأسه كرد التحية بكل لباقة .. دون زيادة أية كلمة .. راودت « فران » رغبة في البكاء من هذا التصرف ! ولكن كان بإمكان الكبرياء المجروح أن يفعل المعجزات ، وفوجئت «فران» نفسها بما حصل ومع ذلك حاولت الجلوس وهي

www.elromancia.com

ترتكز بكل هدوء مدروس وتقول بصوت منخفض :

– أتسمح ؟

بدأ فستان الساتين يلتمع تحت الأضواء ، في حين ظل وجه «جوناثان» لا يفسر حتى بعد أن سألته :

– أيعود الفضل في هذا التغيير إلى «الينور» ؟

سارع «لاري» إلى التدخل ، وهو يحس بالتوتر يتصاعد :

– إن مالم يبح به «جوناثان» ، هو بدؤه في الغيرة من التنافس حولك .. حيث بدأ جميع الرجال يتشاجرون من أجل صحبتك ومرافقتك .. بدءا بي شخصيا !

كانت السيارة المرسيدس تقف أمام باب المنزل .. تقدم «لاري» وفتح الباب الخلفي قائلا :

– «فران» ، تعالي واجلسي جانبي !

توجهت «فران» إلى تنفيذ ما طلب منها ، والجلوس في المقعد الخلفي ، في حين أحست بأصابع «جوناثان» الفولاذية وهي تلتف حول قبضة يدها .

– للأسف يا صديقي ! فإن «فران» ستجلس معي في المقعد الأمامي .

وشدها بكل قوة ، بحيث لم يعد بإمكانها عمل أي شيء ..

همهم «لاري» وهو يجلس وحده في المقعد الخلفي :

– حسنا ، ولكن هذا لن يعجب «أنا» أبدا .

عضت «فران» على شفتيها .. هكذا إذن ستذهب «أنا» إلى الحفلة ؟

وتأكد لها الأمر ، عند وقوف السيارة أمام فندق «كازامارينا» أوقف «جوناثان» محرك السيارة ، والتفت نحو «لاري» دون البوح بأية كلمة .

تنفس «لاري» الصعداء قائلا :

– حسنا . سأذهب لإحضارها .. أغلق «لاري» باب السيارة ، وتوجه إلى بهو الفندق .. في حين وضع «جوناثان» ذراعه حول كتفي «فران» .

أدارت «فران» وجهها نحوه ، ولكنه لم يرها .. إذ كانت عيناه تجوبه .

– هل لاحظت أنك لفت نظر الرجال جميعا ، بارتدائك مثل هذا الثوب ؟

وبدأ يداعبها ، في حين ظهرت عليها علامات الارتباك والرعشة ..

اقترب «جوناثان» بوجهه من «فران» وتمتم قائلا :

– يا حلوتي الصغيرة .. لا تنس أنني لست إلا رجلا كباقي الرجال !

وما إن قبّل «جوناثان» شفتيها .. وبدأت الأمور تختلط عليها ولم يعد يخامرها إلا إحساس واحد وهو أنهما – هي وجوناثان – وحيدان في العالم ، وهذا ما كان رائعا ..

وفوجئت «فران» بـ«جوناثان» وهو يبتعد عنها ، وكأنه يدفعها بعيداً عنه .. إذ كان «لاري» و«أنا» قد وصلا .

وأدركت «فران» عندئذ . أنه لم يكن يريد أن تراهما «أنا تايلور» ..

بدأت نبضات قلب «فران» تتسارع ، حيث أجبرت على تحية «أنا تايلور» بلطافة باردة . في حين كانت أفكارها تدور ضمن مجال آخر ..

هذه القبلة التي طالما تمنت الحصول عليها ، بل كانت ترغب

لو أنها استمرت لفترة طويلة إضافة إلى أنها لم تعد تشعر بالاشمئزاز ولم يعد يخامرها الشعور بالذنب . ترى ماذا جرى لها ؟ وهي تلك التي تحاول دوما تجنب مثل هذه العلاقات والارتباطات .

ومالبث الجميع أن وصلوا عند «الينور» ، التي تقطن داخل منزل قديم من منازل الـ «كونش» أعادت ترتيبه بشكل جميل جدا ..

كان من المحتمل جدا ، أنه لو تم دعوة «فران» ، قبل عدة أشهر فقط إلى واحدة من حفلات الاستقبال هذه ، حيث يجتمع كبار الطبقات في الجزيرة لكان رفع الكتفين بالرفض ، هو الجواب الحتمي والأكيد على هذه الدعوة . إذ ربما تتقارب بوهيمية الشواطىء والأثرياء إلى بعضهما البعض ، ولكنهما ربما لن يختلطا ببعضهما أبداً ..

دخلت «فران» وهي تتأبط ذراع «جوناثان» بعصبية واضحة حيث استقبلتهما «الينور» في حديقة منزلها .. كانت الأضواء الساطعة تنير باقات الورد وأوراق الزينة .. في حين كان هناك خدم يرتدون الملابس البيضاء ويقفون خلف الـ«بوفيه» .

لم يكن الموسيقيون قد وصلوا إلى المكان بعد .. تواجدت فقط مكبرات الصوت التي تبث صوت الموسيقى الهادئة ، المختلطة مع ضجيج الأحاديث المتبادلة وأصوات الضحكات ..

شعرت «فران» بنفيها وكأنها تعيش حلماً . أو تشاهد أحداث فيلم .. إذ كان كل شيء أمامها رائع الجمال ومكتمل التنظيم والترتيب ..

بدا «جوناثان» ينقلها من مجموعة من الناس إلى أخرى . حيث التقديم من خلال بضع كلمات :

– إنها «فران» برايت» ، خطيبتي ..

كانت ردة الفعل الأولى عند هؤلاء المفاجأة .. وخاصة عند النساء في حين لم يستطع الرجال أن يخفوا إعجابهم ..

هاهي «الينور» تتقدم منهما بثوبها الأبيض والأسود قائلة :

– هل أتيح لكما الوقت لتناول شيء من الطعام ؟ إنني لا أريد أن تهملوا «بوفيه» ! ..

وابتسمت ، وهي تبدي الرضا عن هذا الأمل الاصطناعي بما فيه الكفاية ..

مال «جوناثان» باتجاه «فران» قائلا وهما يتبعان «الينور» .

– هل تعلمين بأنك تبدين بمظهر رائع ؟ برافو ! إنني فخور بك .

وبدأ «جوناثان» يتحدث إليها ، وكأنها طفلة صغيرة عائدة من المدرسة بعلامات جيدة ..

اختفت مرارة وكآبة «فران» لدى وقوفها أمام الـ«بوفيه» هي التي كان من المنتظر عدم قدرتها على تناول أية لقمة .. ومع ذلك فقد سال لعابها ، أمام هذه الأنواع المختلفة من الأطباق .

وضعت «فران» في صحنها قليلا من سلطة الجراد وبعضا من قطع الأرضي شوكي.

صرخت فرحة وهي تمضغ الطعام بشهية :

– كم هو لذيذ !

نظر إليها «جوناثان» نظرة مداعبة :

– قد يقال بأن شهيتك متواجدة دوما .

وأخيرا أحست «فران» الآن ، أنها بمنتهى السعادة والسرور ، وكأنها ستظل بجوار هؤلاء الناس مدى الحياة .. حيث يتواجد

نخبة من كبار رجال الأعمال المهمين والفنانين والكتاب والسينمائيين من مختلف أنحاء العالم ، ذائعي الصيت ومشهورين عالمياً ..

ما لبث كل من «أنا» و«لاري» أن انضما إليها . كانت «أنا» تمط شفتيها اشمئزازاً .

وعيناها تتوقدان غيرة ..

وكانت ترتدي أيضا فستانا يلاصق جسمها دون أكمام . في حين كانت معظم النسوة في هذا الحفل ، يرتدين ملابس بمنتهى الحشمة والأدب ، كما أن «فران» لم تجد في ملابسها جرأة أكثر مما كانت تخشى . وأخيرا نجحت «أنا» في إبعادها عن «جوناثان» ، من خلال حركة معينة ، لتجد «فران» نفسها واقفة بالقرب من «لاري» وهو يبتسم لها بحرارة :

– أعتقد أنه تم تقديم جميع الناس الموجودين إليّ ، ولكنني لا أتذكر أي اسم ..

عاد «لاري» وابتسم من جديد قائلا :

– هذا غير مهم كثيرا .

– إنني لا أريد أن اقترف أخطاءً وأعرقل طريقك ..

قاطعا رافعا كتفيه قائلا :

– اليوم الذي تعرقلين فيه طريقي ..

جاءت الأوركسترا لتأخذ مكانها على المنصة ، في حين بدأ الموسيقيون يجربون آلاتهم .. بدت «فران» عندئذ قلقة ، وأخذت تتأمل الواحد تلو الآخر منهم ، ثم تنفست الصعداء مرتاحة لعدم رؤيتها لأحد تعرفه ..

بدأت «فران» بالرقص – في بادىء الأمر – مع «لاري» ، ثم مع عدد من الشباب دعوها للرقص .. ولكن يبدو أن «جوناثان» لم يكن مستعجلا على الوقوف في صفوف الراغبين معها .. وفجأة دارت بنظرها في المكان لمحت «جوناثان» وهو على حلبة الرقص مع «لينور» ، ثم مع «أنا» .. على كل حال ! .. كانت تحاول دوما أن توضح له سرورها وسعادتها رغم عدم وجوده قربها ..

ظهر على حلبة الرقص شاب في العشرين من عمره برفقة «فران» وذلك مع انتقال الأوركسترا إلى العزف معزوفة ديسكو ، إنه ذلك الشاب الذي سبق أن رقصت معه رقصة

الـ«سلو» ، وهي تذكر اسمه جيدا إنه «جيم سولان» .. إنه راقص ممتاز .

كانت «فران» متنوقة لهذه النغمات ، رغم عدم ارتيادها ملاهي الديسكوتيك ..

وما هي إلا فترة بسيطة ، حتى قام الراقصون بتشكيل دائرة حولهما ليجدا نفسيهما مع توقف الأوركسترا عن العزف ، وحيدين على الحلبة ودوى صوت التصفيق في المكان ، في حين أخذ الموسيقيون يعزفون الـ«سلو» ..

أحاط «جيم» بذراعه «فران» وقال بمكر :

– إنك سترقصين معي هذه الرقصة ، يا آنستي ؟

– ترى ألا يزعجك يا «جيم» أن تترك لي خطيبتي بعض الوقت ؟

جاء صوت «جوناثان» حادا ، لدرجة لم يتمكن «جيم» من التردد في مغادرة حلبة الرقص ..

كان «جوناثان» راقصا ماهرا ، تقوم «فران» بالرقص معه بكل سهولة وليونة .. ظلت طول السهرة ، تنتظر اللحظة التي

سيأخذها فيها « جوناثان » بين ذراعيه .. وأخيرا جاءت هذه اللحظة . وكأن كل منهما ينتظر الآخر .. بدت «فران» متشنجة ، ومتوترة ، في حين أن «جوناثان» واثقا – كعادته من نفسه – وانتهى الأمر بـ«فران» أخيرا إلى السؤال ؟

– ماذا لديك بشأني ؟!

جذبها بقوة أكثر وقال :

– إنني لم آت بك إلى هنا لتتنقلي من واحد لآخر .

تركتها المفاجأة لعدة لحظات دون أية إجابة ثم صرخت أخيرا ضاحكة :

– مثلاً ! تعلم أنني لو انتظرتك لتراقصني لأمضيت بالتأكيد القسم الأول من الحفل وأنا أتجول لوحدي .. أهذا ما كنت تريده ؟ ..

لم يجب «جوناثان» بأية كلمة ، وربحت هي الجولة .. ثم وما إن توقفت آخر نغمات موسيقى السلو وحتى تمتمت قائلة :

– آسفة ، اعذرني .. إنني بحاجة إلى الاستراحة واستنشاق الهواء ..

www.elromancia.com

وتوجهت «فران» مباشرة ، دون أن تلتفت إليه ، إلى المغاسل حيث كان هناك عدد من النسوة الأنيقات يعدلن ماكياجهن . غسلت «فران» يديها ثم جددت وضع أحمر الشفاه .

ولكن ما عادت إلى الحديقة ، حتى نظرت حولها ولم تجد لا «جوناثان» ولا «لاري» .. بدأت «فران» تسير هنا وهناك ، كالتائهة ، ثم انتهى بها الأمر إلى الجلوس على مقعد لوحدها ، في زاوية بعيدة عن الناس ، ولكنها ما إن جلست حتى شاهدت شبح اثنين يحتضنان وراء الشجرة، لذا غيرت من جلستها للتعرف على هذين الاثنين ، بحيث دارت نصف دورة وتعرفت على صوت «الينور» .. أجل إنه صوتها الذي تسمعه - رغما عنها - وهي جالسة في مكانها ..

كانت «الينور» تقول :

- إنها لن توافق على التنازل بهذه السهولة. انتظرها فقط حتى تقاوم بجميع قواها .. فكر جيدا . بعد كل الذي جعلتها تصدقه ..

صحح لها «جوناثان» قائلا :

- إنني لم أجعلها تصدقه . هل هو ذنبي في حال شرود ذهن النسوة وتفكيرهن بأشياء لا وجود لها ، فيما إذا كانت هذه الحمقاء الصغيرة تعتقد أنني سأتزوجها !

ثم أردف قائلا بعد لحظات من الصمت :

- إننا الآن في القرن العشرين ، والرجال لم يعودوا حمقى لدرجة أن يأخذوا كل ما يُقدم لهم ! ..

ثم انفجر «جوناثان» ضاحكا ، بضحكة تشوبها السخرية والاحتقار اخترقت قلب «فران» ولحسن الحظ أنها سمعت عبارة : «الحمقاء الصغيرة» . حيث سارت بعيدا وكأنها نائمة أو مخدرة مما سمعت ..

نظر إليها «لاري» بقلق وسألها قائلا :

- ماذا بك ؟ هل تتألمين من شيء ما ؟ كم أنت شاحبة اللون .

صرخت «فران» قائلة :

- إنني لست على ما يرام .

أجل فقد كانت هذه الحقيقة .. إذ كم رغبت في أن تتواجد حالا على بعد كيلو مترات من هذا المكان وألا تعود لترى هذا

الرجل ، الذي سببٌ لها - ببضع كلمات - إهانة كبيرة .

- أرجوك يا «لاري» أن تأخذي من هنا .

تردد «لاري» قليلا :

- انتظري لحظة ! سأحاول البحث عن «جوناثان» و ....

كررت «فران» قائلة :

- أرجوك .

تفحصها «لاري» جيدا ، وقادها - دون البوح بأية كلمة - باتجاه سيارة المرسيدس ، ولحسن الحظ أن مفتاح السيارة ما يزال معها ، منذ أن تعلمت القيادة .

أحست «فران» بالتحسن مباشرة عند انطلاق السيارة كما كانت لا تريد - مهما بلغ الثمن - إفساد سهرة «لاري» .

- «لاري» أنزلني أمام المنزل ، وعد سريعا إلى منزل «الينور» . حاول أن تبلغها و«جوناثان» بكل لباقة ، إنني متوعكة قليلا وأخذتني إلى المنزل . سأذهب الآن إلى سريري للنوم ، وسأكون أفضل غدا ..

- لو أطلب من «ماريا»

- لا شكرا .. ليس هناك ضرورة لإيقاظها إنني متعبة قليلا ، ولكن يجب عدم خلق مشكلة أو مأساة من هذا الأمر ..

وأخيرا استجاب «لاري» لطلبها في حين توجهت هي إلى المنزل ، حيث صعدت إلى غرفة نومها وخلعت فستانها بحركة واحدة ، وقع فيها أرضا ثم دخلت سريرها وغطت نفسها حيث التوت علي نفسها وكأنها حيوان مجروح ..

كيف استطاع « جوناثان » أن يتحدث عنها بمثل هذه الطريقة ؟ إذن فهي لم تكن شيئا على الإطلاق بالنسبة له ؟ إنها لن تنس أبدا الكلمات المهينة التي سمعتها كلمات الاحتقار التي قادتها الصدفة إلى سماعها .. لن تنساها أبدا ! .. ثم ما لبثت أن نزعت الخاتم من يدها ، بحركة مفاجئة وعصبية ، حيث رمته أرضا على الزاوية الأخرى من الغرفة ..

وأخيرا أخفت رأسها بين أذنيها وانفجرت بصوت بكاء ، يظن من يسمعه أنه لن ينتهي أبدا .. ثم غرقت في نومها والدموع مازالت تسيل على خديها ..

ها هو باب الغرفة ينشق - بعد مرور فترة من الوقت ليدخل معه ضوء خافت . كان ذلك هو «جوناثان» الذي فوجيء بوجود

www.elromancia.com

الخاتم على أرض الغرفة .. حيث التقطه ووضعه على الطاولة كما فوجىء برؤية الملابس على الأرض بحالة فوضوية ، لذا توجه نحو «فران» وطبع على جبينها قبلة خفيفة ثم غادر الغرفة على رؤوس أصابعه.

كان الخاتم هو أول مالاحظت وجوده عند استيقاظها في صباح اليوم التالي ، وهو يلمع تحت أشعة الشمس .

قطبّت «فران» حاجبيها : هناك أمر ما قد حدث ، فهي تذكر تماما أحداث الليلة المنصرمة ..

كانت الكلمات القاسية ترن في أذنيها :

– « فيما فلو كانت هذه الحمقاء الصغيرة تعتقد بأنني سأتزوجها ... الرجال ليسوا حمقى لدرجة أن يأخذوا ما يُقدم لهم »!..

لم تحتج «الينور» أبدا ، إذن فهو يقول الحقيقية حول هذه الخطبة المزيفة بعد أن منعها شخصيا من التحدث إلى «لاري» ولكن ماذا قدّمت هي لـ«جوناثان»؟ إنها لا تفهم شيئا ألم يعلق على الأقل لى استجابتها العاطفية للقبلة التي قدّمها لها وكأنها دعوة؟ ..

حسنا ، فهي ستريه الآن بأنها خدعت ، وهي لا تنتظر منه أي شيء ، على الإطلاق .. إذ ينص الاتفاق بينهما على أن تصبح حرة في المغادرة حال رغبتها القيام بذلك ؟ هذا أفضل وهي لا ترغب الآن بأكثر من ذلك ! ..

إنها وقبل كل شيء ، لم تطلب منه العيش في منزله ! وهو ليس مجبرا على تحمل مالا يريد ..

تأملت «فران» الخاتم ، وحاجباها مقطبان ، ذاك الخاتم الموجود على الطاولة .. وتساءلت لأكثر من مرة ما معنى هذا ! .

أخذت الخاتم من جديد ووضعته في إصبعها – دون إبداء أي تذمر – ثم أعادت خلعه .. ومالبث أن طرق الباب في نفس اللحظة . وتصورت كالعادة أنه هو بالتأكيد ، وهو آخر شخص تتمنى رؤيته ..

سألت مستفسرة :

– من هناك ؟

دخل «جوناثان» .

– كيف تشعرين صباح هذا اليوم ؟ لقد أخبرني «لاري» بتوعكك البارحة في منزل السيدة «الينور» .

بدا عليه القلق حقا وبكل صدق ، ولكنها لم تكن على استعداد لتصديقه والثقة به ..

كان «جوناثان» يرتدي بنطلونا من الجينز وقميصا قطنيا ، وفوجئت برؤيته يرتدي ملابس متنافرة للذهاب إلى عمله .

إدّعت «فران» قائلة :

– لقد أكلت حتما شيئا لا يناسبني .. ولكنني أشعر هذا الصباح بتحسن .. وقد كنت على وشك النهوض والذهاب للاستحمام .

أخذ «جوناثان» يتفحص شبح جسدها ، المختفي تحت الغطاء ، دون البوح بأية كلمة ثم أحمرّ وجه «فران» خجلاً ، لمجرد ورود هذه الفكرة إلى ذهنها ..

اقترب منها ليجلس على حافة السرير ، وقريبا منها لدرجة أحست بقدمه تلامس رجلها ؟

– لماذا لم تأتِ عندي البارحة لتخبريني بأنك مريضة ؟

وبدأ يتفحص وجهها بكل دقة ، في حين أحست بتوتر واضطراب من نظرته الثابتة تلك .

– إنني .. إنني لم أعثرَ عليك .. كما إنني لم أرغب في إزعاجك .

ولكن ما لبث «جوناثان» أن أجبرها على النظر إليه .. ترى ألم يأن الأوان بعد كي تحدثه بكل صراحة ؟

قالت بصوت منخفض :

– كانت تلك الأمسية رائعة .. وللأسف أنه كان علينا تمثيل تلك المهزلة ..

صرخ قائلاً :

– لِمَ ؟

– لقد وجدت «جيم سولان» مسليا .. إنه راقص رائع ، ألم تجده أنت كذلك ؟

نهض جوناثان فجأة وتراجع عدة خطوات .. كانت عيناه الرماديتان تشعان غضبا .. وهو يقول :

– إن « جيم سولان » ليس إلا مراهقا ، الناس جميعا هنا يعرفون ذلك ! .. كنت سأمنعك من رؤيته ، حتى ولم نكن مخطوبين ! ..

لاحظت «فران» ، بكل سعادة ، أنها طرقت الموضوع الصحيح ، من خلال حديثها عن «جيم سولان» .. إذ كان لابد من وجود عداء بين هذين الرجلين ..

سألته قائلة ، محاولة تغيير موضوع الحديث :

– لِمَ ترتدي الجينز هذا الصباح ؟ !

– إنني أفكر في الذهاب بالمركب إلى الرصيف البحري للقيام بالغوص ، ما رأيك ، هل يعجبك هذا الأمر ؟

ردته «فران» مستغربة متناسية ، أنها لم تكن ترتدي ملابس النوم .

– أوه ! أجل .

أزيح الغطاء عن جسدها ، لكنها إعادته بحركة عفوية ..

أدار «جوناثان» آنذاك ظهره نحو الباب .. حيث حاول تجنب رؤيتها هكذا .

نادته قائلة ، وهو على وشك فتح الباب :

– «جوناثان» ..

استدار نحوها ببطء ، حيث اخترقت نظراته شعرها المنسدل

على كتفيها وعلى ذراعيها .

وأخيراً رد قائلا :

– نعم ..

– من ستأخذ معك أيضا ؟

هز كتفيه بعدم وجود أحد ثم أضاف :

– كنت أعتقد أن بإمكاننا أن نذهب وحدنا إلى هناك .. ولكن لِمَ لا تطلب من «آنا» و«لاري» ، أن يأتيا معك ؟

ثم غادر «جوناثان» الغرفة ، دون أن يتيح أمامها المجال للإجابة وأغلق الباب وراءه .

♥ ♥ ♥

www.elromancia.com

الفصل الثامن

لم تكن الفرصة قد أتيحت أمام «فران» للصعود على متن مركب شراعي .. كما أثار انتباهها وجديتها أولى الخطوات التي وضعتها عليه .. كانت «آنا» تحاول ، بجميع الوسائل أن تفهم «جوناثان» بعدم رغبتها بأن تكون واحدة من مجموعتهم الصغيرة تلك ، ولكن لم يصل استخفاف هذه المرأة الشابة إلى هدفه ..

اختفت ضحكة «فران» لدى عرض «جوناثان» عليها الإمساك بالصاري ، حيث صرخت قائلة :

– أتعتقد أن بإمكاني القيام بهذا العمل ؟ .. أوه ! إنني سأحاول على كل حال ..

ثم عادت «فران» إلى مكانها ، وهي تبدو ساحرة في ثوبها .

كان الاثنان يجلسان بجانب بعضهما البعض ، تحت أشعة الشمس تبدو عليهما ملامح الاسمرار من حرارتها ، ويبدوان وكأنهما اثنان .. من عالم آخر .

وبالمقابل ، كان هناك «لاري» و«آنا» يبحثان عن الظل .. «آنا» التي ترتدي بنطلونا وقميصا أبيض اللون ، وتغطي وجهها بقبعة واسعة ، وهي تتأمل جسد «فران» .

في حين كان «لاري» يرتدي لباس الملاكمة أخضر اللون لا يتميز بأي شيء .. وبدت رجلاه وظهره في حالة إحمرار من التوهج.. نصحه «جوناثان» قائلا :

– من الأفضل لك يا «لاري» أن تغطي جسدك .. فقد أصبح لون جلدك كلون السرطان ، إنني أخشى عليك بضربة شمس !

لم يجب «لاري» بأية كلمة .. بل انه على العكس –تماما– استعجل للنزول داخل «الكابين» ، ليعود وهو يرتدي بنطلونه الجينز وقميصه الاسكوتلندي .. والأكثر من ذلك ، أنه وضع قبعة على رأسه .

كانت مقدمة المركبة تخترق الأمواج .

صرخت «فران» فرحة :

– هذا رائع ! إنني أعشق هذا المنظر ..

قال «جوناثان» وهو يبتسم :

– لقد كنت متأكدا من أنك ستسرين بهذه الرحلة .

وتقابلت عيناهما .. حيث نسيت «فران» كل عداء تجاه «جوناثان» وها هما في هذه اللحظة يتقاسمان السرور نفسه ..

لم تكن عملية إمساك الصاري من الصعوبة لدرجة الخوف منها وخشيتها لذا فقد توصلت «فران» إلى الحفاظ على رأس المركب في الاتجاه الصحيح ، كما بدأ الهواء ينتفخ في الأشرعة البيضاء ويمدها .. ورفعت رأسها من جديد ، لتنظر إلى «جوناثان» فقد راودهما للحظة شعور بأنهما كانا لوحدهما في هذا العالم ..

هذا ولاحظت «فران» مدى معرفتها بـ«جوناثان» مباشرة لدى مغادرتهما رصيف الميناء ..

حيث سأله «لاري» و«أنا» فيما إذا كان قد اشترك في سباق المراكب الشراعية لهذا العام ..

– إنني لم أشترك في هذا السباق .

قال «لاري» مستغربا :

– إنها المرة الأولى !

وسألته «أنا» :

– لِمَ لم تسجل اشتراكك كالعادة ؟

اكتفى «جوناثان» برفع كتفيه فقط .

– إن لديّ عملاً كثيراً !

وسألته «فران» قائلة :

– ما هو السباق الذي تتحدثون عنه ؟

ألقت «أنا» إليها نظرة احتقار ، وأحست «فران» آنذاك بمقدار جهلها . في حين تعجل «لاري» لإخبارها :

– إنه سباق القوارب لسواحل جنوب الأطلنطي . ويعتبر «جوناثان» من أفضل المجذفين الأمريكيين ، أتعلمين ذلك ؟

ثم أضاف وهو يبتسم قائلا :

– وهذا معناه أنني لا أضع حياتي الثمينة بين أيدي أي شخص كان !

وصرحت «أنا» عندئذ بصوت مرتفع :

– لقد قمت أنا و«جوناثان» – عندما كنا أطفالا بصنع قارب كامل ، حتى قبل أن نتعلم قيادة الدراجة العادية . والتفتت نحو «جوناثان» قائلة :

– اوه ، كم هو الطقس جميل في «ماين» في مثل هذا الوقت ! هل تذكر ذلك ؟

لم يرد «جوناثان» بأية كلمة ، في حين تمكنت «فران» من استنتاج النتائج بنفسها . هكذا إذن إن «جوناثان» و«آنا» يعرفان بعضهما منذ الطفولة .. وهذا واضح تماما ، إذ انهما لا يتعاملان كصديقين ! كما لا وجود بينهما إطلاقا لجو العلاقة التي تحكم أصدقاء قدامى في اللعب . كان هناك شيء آخر تحاول أن تجد له تفسيراً إذا كانت «آنا» تعلم جيدا طريقة التجديف ، لِمَ لم تحمل هي صاري المركب ؟ إنها حتى لم تساعد في رفع الأشرعة ونشرها !

سألتها ، عندئذ :

– وأنت يا «آنا» . هل تشتركين في سباقات المراكب الشراعية ؟

– لا بالتأكيد ! من النادر جدا صعودي الآن على متن مركب شراعي .

– لِمَ ؟

– أولاً لأن الشمس والهواء يضران جلدي ثم .. إنني أصاب بدوار البحر .

قالت «فران» بلهجة ساخرة :

– اوه ! ياللأسف ، حقا هذا شيء مؤسف .

وأضافت «آنا» بلهجة حادة :

– إنني لم آت إلى هنا إلا مع إصرار «جوناثان» وإلحاحه عليّ .

قالت «فران» لنفسها ، إنها لا تتجرأ على تحديد عبارتها :

– « لأنني لا أرغب أبداً في تواجدك وحدك مع «جوناثان» .

فما زال صوت «جوناثان» يرن في أذنيها بطلبه : لِمَ لا نطلب من «لاري» و«آنا» مصاحبتنا ؟

وهكذا ذاب حماسها وكأنه نوبان الثلج تحت أشعة الشمس ، وعادت إلى ذاكرتها كلمات «الينور» التي سمعتها في الحديقة .. كيف بإمكانها أن تنساها ؟

أخفضت «فران» رأسها ، وهي تخفي دموعها التي تحاول الإنفلات من حدقتيها .

لم يكن لأي شيء من حولها أي معنى : إذ هناك الشمس الساطعة والسماء الزرقاء والنسيم العليل الذي يلعب بخصلات

شعرها لأن هذه الجمالية المنسجمة والمريحة لم تكن - حسب رأيها - خُلقت لها ، بل لعالمهم .. هم - «جوناثان» إمسك الصاري ..

تركت «فران» المكان دون أن تترك المجال أمام سماع الإجابة ثم ذهبت للجلوس أمام «لاري» .

ترى هل تصور «جوناثان» السبب وراء قفزتها المفاجأة تلك ؟ إنه حتى لم يلاحظها .. إنها تراه بطرف عينها . ها هو يمسك الصاري بقدمه العاري ، وفكه القاسي واضح أمامه ونظرته البعيدة بادية في عينيه .

لم تتمكن «فران» بنفسها المتقطع من إبعاد نظرها عن هذا الشبح المملوء رجولة..

سألته «أنا» :

- هل مازال المكان بعيدا ؟

- لا ، ليس كثيرا .

صرخت «فران» وهي تجلس على حافة المركب قائلة :

- اوه ! إنني أرى شعب المرجان .

كانت المياه شديدة النقاوة لدرجة سمحت لها بمشاهدة الشُعب بنية اللون ، وكميات من الأسماك تحوم حولها .

قال «لاري» :

- «فران» ، انتبهي .

ثم أمسكها

- كنت ستقعين ..

أمره «جوناثان» بلهجة قاسية :

- امسك الصاري يا «لاري» .

أطاع «لاري» الأمر مباشرة في حين نهضت «فران» وتابعت بنظراتها « جوناثان » وهو يتوجه أمام المركب ، وما أن مضت ربع الساعة ، حتى اعتادت «فران» على مصطلحات الملاحة المستخدمة .. وأدركت بسهولة ما ينتظرها ، وها هي ستجهز نفسها للحاق به .

- «لاري» ، بوجه الهواء ! والآن أرم كل شيء يا «فران» !

وترك المرساة تهبط في حين رفع الشراع الكبير ، وهو يلقي الأوامر التي يسارع كل من «فران» و «لاري» لتنفيذها قالت «فران» ، بعد انتهاء العمل :

- هذا جنون أن أحب هذا ومع ذلك فإنني أحب تعلم كل شيء جيد ..

www.elromancia.com

صرخ «جوناثان» قائلا :

– إنك ستتوصلين إلى ما تريدين دون أية صعوبة .. إذ بإمكان اثنين فقط أن يسيّرا هذا اليخت دون أية مشكلة .. وسأقوم بتعليمك هذا الأمر ! .

ثبّت «جوناثان» نظره فيها ، في حين ازداد خفقان قلبها .. ترى لِمَ يحدثها بهذا الكلام ؟ لِمَ يحاول دوما أن يتطرق إلى وجود مستقبل مشترك لهما ، في حين أنها تعلم تماما درجة احتقاره لها .. هي ، الحمقاء الصغيرة .. هذه الحمقاء الصغيرة التي كانت تعتقد أنه سيتزوجها !

ولكن لم يكن الوقت متاحاً أمامها لمعايرة أفكارها السوداء . كان يخرج «جوناثان» الأقنعة والمسباحات .

– «لاري» و«أنا» ، عليكما الغوص أولا !

احتجت «أنا» بصوت نحيب قائلة :

لِمَ لا نغوص نحن الأربعة معاً ؟

– من المفروض أن يبقى واحد منا على سطح المركب ، إذ ربما انطوى أحد الأشرعة وابتعدت المرساة وابتعد المركب !

سقط كل من «لاري» و«أنا» في المياه ، في حين التفت «جوناثان» إلى «فران» قائلا :

– هل مارست الغوص سابقا ؟

– أبداً .

كانت عيناه تلتمعان بالحماس .. وأصبح لونهما يميل إلى زرقة مياه البحر ، الذي يتمايل على سطحه اليخت الأبيض الكبير .

صرخ «جوناثان» :

سأريك كيف ..

عدّل «جوناثان» من موضوع القناع والكمامة .. كان قريبا منها جدا لدرجة أنها أحست بقلبه يخفق بسرعة وبأنفاسه تعلو .

وتوضعت كرة داخل حلقه .. كان عليها أن تتحامل على نفسها حتى لا تفشل في المحاولة المفاجئة بوضع جهاز الاكسجين عليها ..

ولكنها ما أن قفزت إلى أعماق المياه ، حتى نسيت كل ما يحصل في هذا العالم .. حيث رأت شُعب المرجان وهي تشكل

www.elromancia.com

غابة حقيقية تخترقها الأسماك من جميع القياسات والألوان ، ضمن استعراض راقص متجدد بالاستمرار .

ترى كم مضى على «فران» من الوقت وهي تسبح داخل هذا المنظر الرائع في أعماق البحر ؟ إنها غير قادرة على تقدير الوقت .

ثم ما إن خرجت إلى سطح المياه ، حتى لاحظت أن «جوناثان» كان يتبعها .. حيث وهو يبتسم إلى المركب ، الذي بدا أنه أصبح بعيدا جدا عنهما ..

رفعت «فران» قناعها عن وجهها ، وصرخت بكل حماس مبتهجة:

- إن هذا أمر لا يصدق ! إن بإمكاني البقاء ساعات تحت الماء هذا يعتبر حقاً لأمر خيالي ! .

- كنت أتساءل كم من الوقت ستسبحين تحت الماء ؟ ..

وظننت للحظة أن هدفك الوصول إلى «ميامي» ..

بدأ «جوناثان» يتأمل وجه «فران» الجميل ، عينيها البراقتين وابتسامتها الرائعة .

- علينا العودة إلى المركب . إنه موعد الغداء وسيقلق الباقون علينا .

لم تخف «فران» سرورها وحماسها أمام أحد ، وذلك مباشرة لدى عودتها إلى المركب ، ثم ما لبثت أن قدّمت الساندويتشات مباشرة عندما أحضر «جوناثان» سلة الرحلة التي حضّرت ما بداخلها كل من «جوانا» و« ماريا » .

كان لديها شعور بأن كل شيء أفضل من المعتاد بكثير :

وقالت «آنا» بلهجة ماكرة :

- إنني دائما أجدك تأكلين بصورة جيدة ..

أجاب كل من «جوناثان» و «لاري» في وقت واحد :

- أجل !

احمرّ وجه «فران» خجلا ، وتعكر مزاجها فجأة . لدرجة بدا معها غضبها عندما لاحظت الاثنين ينظران إليها ويتأملانها .

نعم ! إنها تأكل دوما بصورة جيدة ، ولكن ما هو الأمر السيء في ذلك ؟ فهي تصرف الكثير من الطاقة ..

تمددت «فران» بكسل على المركب ، بعد انتهائها من تناول

الطعام .. كانت لا تريد لهذا اليوم أن ينتهي أبداً ..

بدأ الحديث يدور حول حفل الاستقبال الذي أقامته «الينور» ، حيث شردّت «فران» مباشرة في المحادثة التي فاجأتها ..

سألتها «أنا» بتأفف :

– ولكنك لا تستمعين إليّ يا «فران» .

انتبهت «فران» مباشرة :

– اعذريني ، كنت شاردة الذهن ..

– لقد كنت أقول بأنك أعجبت جيم سلوان كثيرا .. لقد بدا عليه الحزن ، مباشرة لدى علمه بمغادرتك المكان .. وسأل فيما إذا كان قد خاطبك بما يزعجك .

كان لدى «فران» رغبة قوية في توضيح مدى تضايقها من جيم سلوان أمام «أنا» ، ولكنها لجأت – بدل ذلك – إلى رسم ابتسامة رضا على وجهها قبل أن تقول :

– ولكن ليس لهذه الدرجة ! عليّ أن أخبره بأن اعتقاده هذا أزعجني ..

بدأت «أنا» مشرقة بهذا الرد .. في حين ظهر الغضب على

وجه «لاري» . أما «جوناثان» فقد بقي صامتاً ، وجهه عديم التعابير ، لم ينبس ببنت شفة طيلة رحلة العودة ، وما إن وصلوا إلى الشاطىء ، حتى دار حديث جاد بين «لاري» و جوناثان.. توصلت «فران» إلى العلم بأن «جوناثان» سيغادر صباح بعد غد ، ليغيب أسبوعاً – وربما أسبوعين ..

وأضاف قائلا :

– سأصطحب معي ، لدى عودتي إلى «كي ويست» كلا من «الين و «بيل الدين»

صرخ «لاري» فرحاً :

– كم هي فكرة رائعة !

كررت «أنا» قائلة :

– كم هي فكرة رائعة ! إن الزوجين لطيفان جداً .

أحست «فران» بالحرج للمرة الثانية .. ماذا تفعل هي بين هؤلاء الناس ، في حين مازال أصدقاؤها الحقيقيون مستمرين في ممارسة حياتهم دون آلام أو تأفف ..

بدأت تفكر أنها – فيما مضى – واثقة من نفسها لدرجة

www.alromancia.com

كبيرة ، وحرة وصادقة .. إنها تلك الأيام التي كانت تسير دون ضجة ، في تمضية فترة بعد الظهر على الشاطىء والمساء على الرصيف .. وهنا ماذا لديها لتفعله ، مع هؤلاء ..

لو كانت تستطيع فقط أن تعود إلى الوراء ! ..

كان «جوناثان» قد غادر المكان لدى قيام «فران» بممارسة رياضتها اليومية في الجري ..

أحست «فران» بفراغ كبير بغيابه ، كما ظل الحزن لا يفارقها ، حيث افتقدت لمدة أسبوع كامل ، نظرة العينين الرماديتين اللتين كانتا تتأملانها باستمرار ، ولكنها كانت مستغربة ومحتارة في نفس الوقت : ترى لِمَ غادر دون أن يودعها ؟ ..

عادت «فران» إلى حياتها الطبيعية الروتينية ، حيث وجهت اهتمامها إلى أعمال ترميم منازل الـ«كونش» القديمة ، في حين لوحظ سرور واغتباط «لاري» من إعطائها بعض المعلومات الخاصة بالعمارة ..

كانت تقوم «فران» - كعادتها - بجهد عضلي كبير لدرجة استنفاد جميع قواها .. بحيث أنها تنام مساء ملء جفونها ، ولا

تستيقظ إلا في الصباح التالي ..

إلا أنه ، كان هناك دوما وجه يطل عليها أثناء نومها ولا يفارقها .. إنه وجه رجل أسود الشعر صاحب عينين رماديتي اللون .. حافظت «فران» على ارتداء خاتم الزفير الرائع باستمرار .. بحيث أخذت تبدو لها هذه الخطوبة المصطنعة ، أمرا مصدقا ، كما أبدى «لاري» تجاهها حسن معاملة لدرجة أن شعرت بتأنيب الضمير تجاهه ، من جراء هذه الكذبة .

ثم مالبثت ، أن كشفت أمامه - في إحدى الأمسيات - هذه الخديعة ، التي اخترعها «جوناثان» نفسه للقضاء على الشائعات. وبالدهشتها الكبيرة ، عندما لاحظت أسلوب معاملة «لاري» لها - بعد هذا الاعتراف - حيث أصبح أكثر حساسية تجاهها . وكان يستغل الفرص التي يتواجد معها ليظهر لها مدى لطفه وانفتاحه ، مما ينهي الأمر بينهما إلى تركه انطباعا جيدا لديها ، وتتذكر عندئذ غيرة وحرص «جوناثان» عليها ، ولكنها ما تلبث أن تطرد هذه الأفكار بعيداً .

لاري ترى هل يحبها ؟ هذا أمر مثير للسخرية .. إن علاقتهما لا تتعدى الصداقة .

مضى على غياب «جوناثان» - حتى الآن - حوالي خمسة عشر يوماً .

ها هما «فران» و«لاري» يتناولان القهوة بعد عشاء مساء هذا اليوم ، في باحة المنزل ، وهما يتناقشان في مشاريع عمليات الترميم والتجديد ..

توجهت إليه «فران» بالسؤال فجأة :

- كم كان عمرك ، عندما تمنيت أن تصبح مهندساً معمارياً ؟ وما هي مشاريعك المستقبلية ؟

كان عليها أن تضيف قائلة : «في مهنتك» . ولكنها لم تفكر في هذه الجملة . في حين سارع «لاري» إلى - الرد مباشرة - مكرراً وهو يمسك بيديها :

- مشاريعي المستقبلية ؟ أنك أنت مستقبلي يا «فران» . إنني أحبك .. هل تقبلين الزواج مني ؟

كانت عيناه اللوزيتان تبرقان معبرتين عن مشاعره وأحاسيسه .. في حين أحست «فران» بالرثاء لحاله ، لذا حاولت تخفيف الأمر قائلة :

- لا يا «لاري» ، أنك لا تحبني ! إنك تخدع نفسك بهذا الكلام .. نحن أصدقاء مخلصون .. هذا هو كل ما في الأمر .. أليس كذلك ؟

- لا ، إنني لا أخدع نفسي ! وأمنيتي الكبيرة أن تصبحي زوجتي في يوم ما .

آثرت «فران» الصمت .. إذ قلبها هذا الاعتراف رأساً على عقب . فهي لم ولن تحب «لاري» إطلاقاً .. كيف بإمكانها أن تجعله يفهم الحقيقة دون أن تسبب له أي ألم؟

ولكن تمكن «لاري» من قراءة رفضها على وجهها ، لذا توجه إليها بابتسامة ثابتة :

- إنني لم أكن أدري أنك لا تحبيني ، يا «فران» . على الأقل ، ليس حتى هذه اللحظة . ولكن لم تكن لدي الشجاعة لإخفاء حقيقة مشاعري تجاهك لفترة أطول . أننا لم نتحدث بهذا الموضوع أبداً ، حتى تلك اللحظة .. واعلمي فقط بأنني سأنتظرك وسأكون رهن إشارتك وأن بإمكانك الاعتماد عليّ في كل ما تريدين .

تايع قائلاً والغضب يشوب ابتسامته قليلاً :

– إنني أعلم بوجوب عرض بعض التفاصيل الدقيقة عليك ، حتى ولو لم يكن هذا الأمر يرضيك .. ثقي تماماً أنه في حال موافقتك على الزواج مني ، فلن ينقصك شيء حتماً ، لأنني بعيد كل البعد عن التجرد مادياً !

لم يكن من السهل على «فران» أن تجد النوم بسرعة ، بعد هذه المحادثة ..

ترى لِمَ لم توافق على عرض «لاري» ؟ إنها تحبه كثيراً ، وتقدِّر عالياً ثقافته ولباقته وكرمه ولطفه . ولكن هل بالإمكان مقارنته مع «جوناثان» ؟

وأخيراً ، وما إن استسلمت «فران» للنوم ، حتى بدأت تحلم بـ«جوناثان» وهي معه على سطح المركب ، بعيداً جداً عن الشاطىء حيث يقوم الاثنان بتحريك اليخت ، وكأنهما يشكلان ثنائياً في حياتهما ! ..

وفجأة . لم يعد «جوناثان» هناك . بدأ قلبها يرتجف خوفا ، حيث وجدت نفسها وحيدة في وسط مياه المحيط ..

استيقظت «فران» ، وخداها غارقان بالدموع في حين ظل الحلم واضحاً جلياً في ذاكراتها ، لدرجة أنها تستعيده في أغلب الأحيان . أثناء فترة عملها صباحاً في محل «الينور» .

كان علي «لاري» أن يغادر متوجها إلى «ميامي» يوم واحد ، لذا تناولت «فران» غذاءها لوحدها .. ثم ارتدت بدلة السباحة وحملت كتابها ، وذهبت لتتمدد وتستريح بالقرب من المسبح ، لأنه لم يكن لديها دروس بعد ظهر هذا اليوم .

قرأت «فران» قليلاً قبل أن تنام تحت أشعة الشمس ، وما إن فتحت عينيها حتى أحست بعطش شديد ، لذا توجهت إلى المطبخ لتشرب .

وما أن دخلت المطبخ وجهزت كأساً كبيراً من عصير الليمون المثلج ، حتى ظهرت أمامها كل من «ماريا» و«جوانا» وهما تحملان أشياء يجب تنظيفها .

– تم كل شيء ، لقد انتهينا من تنظيف الغرفة الكبيرة ، والآن لم يبق أمامنا إلا الانتظار ..

سألتهما «فران» مستغربة :

- مَن ؟

- السيد «جوناثان» وأصدقاؤه .. إنهم سيصلون في تمام الساعة الرابعة .. ألا تعلمين بذلك ؟

وهكذا اختفى جو البلادة الذي كان يثقل كاهل «فران» منذ الصباح ليحل محله الشعور بالخوف والرعب ..

لم يكن بإمكانها تحمل فكرة التواجد أمام «جوناثان» وجهاً لوجه ، بعد اعترافات «لاري» لها ، وذلك الحلم المخيف الذي راودها .. إذ كانت تخشى كثيراً أن يقرأ عينيها .. أن يكتشف السر الذي مازالت لا تتجرأ علي البوح به حتى لنفسها . توجهت «فران» نحو الدرج ، وبدأت تصعد كل درجتين معاً ، متناسية الكتاب على الكرسي الذي كانت تتمدد عليه ، بالقرب من المسبح . فهي لم تكن تريد التواجد في هذا المكان - تحت أي سبب كان - وقت وصول «جوناثان» ومجموعته التي لا تعرفها ..

لذا قامت مباشرة - ودون التفكير كثيراً - بارتداء بنطالها الجينزي القديم وقميصها القطني الأبيض ، فوق بدلة السباحة كما سرّحت شعرها مع وضع قليل من المكياج . وخرجت مسرعة إلى جراج الحديقة ، حيث مازالت تتواجد هناك دراجتها الهوائية ،

شعرت مع لقائها وكأنها تعود لمقابلة صديق قديم ! ..

ركبت «فران» دراجتها ، وغادرت المنزل ، تجوب شوارع الجزيرة المظللة بالأشجار المزهرة ، في حين كان الهواء يداعب خصلات شعرها ، ومالبثت أخيراً أن عادت - شيئاً فشيئا - إلى هدوئها ..

بدأت تتجول على الشاطىء ، الذي كانت كثيراً ما تمضي فيه الساعات الطويلة .. كان هناك شباب يلعبون كرة الطائرة .. مثلما كانت تفعل هي منذ بضعة أشهر مضت ..

لكنها ، لم تبرهن على أي أسف تجاه ما فقدته ..

كان بإمكان أصدقائها السابقين أن يظلوا مدة أشهر - أو لنقل سنوات - دون إدخال أي تطور على حياتهم ، وهم يتعايشون مع الأيام يوماً بعد يوم .. لم يكن لديهم أي هدف في الحياة ، ولا أي طموح .. باستثناء الاستفادة - على الأقل - من جاذبية وسحر الوجود .. ترى هل كان هذا حلاً ؟ إنها تشعر اليوم بثقة أكبر في نفسها .. إذ كان يخامرها باستمرار شعور في أنها ستصاب بالملل سريعاً إذا اضطررت إلى العودة إلى «فران» الأيام السابقة غير الطموحة .

لقد أحست - رغم كل ذلك - بحنين مفاجىء إلى الأيام السابقة ، أثناء تواجدها - منذ عدة أيام - على ظهر يخت «جوناثان».

إلا أن هذا الشعور لم يعد يخامرها اليوم .

ولا تنس أن هناك شعوراً معيناً ، هو الذي دفعها إلى صعود درجات السلم بسرعة والتوجه إلى رصيف الميناء حيث مضى عليها - حتى الآن - أربعة أشهر لم تأت فيها إلى هنا أبداً .. ترى أين سيكون مكانها من الآن فصاعداً ؟ الماضي مات بالنسبة لها . والمستقبل يبدو غير محدد ...

توقفت «فران» أمام اثنين من الشبان الذين بدأوا يغنون بمصاحبة الغيثار .. لم تكن الفتاة التي تغني تتجاوز سبعة عشر عاماً .. في حين كان صديقها ذو اللحية والمرتدي للجينز الممزق لا يزيد على عمرها بكثير ..

كان الاثنان يرددن أغنية لـ«بوب ديلان» استطاعت الأبيات التي وصلت إلى مسامع «فران» أن توقظ داخلها إحساساً غريباً من الحزن ..

«والكلمات ، أصدقائي ، تطير في الهواء » ..

كم من الوقت مضى عليها ولم تدندن بمثل هذه الكلمات ؟

لقد مضى على انفصالها عن أصدقائها المغنين الشباب -حتى الآن - أربعة أشهر . وها هي اليوم تحس بالبعد عنهم ، بالبعد عن عالم كان عالمها وعالمهم أيضاً .

أحست «فران» بغصة في حلقها ، فقد انتهى كل هذا - من الآن فصاعداً - بالنسبة لها .. ترى هل تغيرت هي إلى هذا الحد؟ تلألأت الدموع في عينيها ، ثم انسالت على خديها .. ترى على ماذا تبكي .. ؟ إنها غير قادرة على معرفة السبب .. ترى هل تبكي على «فران» التي لم تعد موجودة أبداً ؟ أو على ... «جوناثان» ! .

كان هناك يقابلها في الطرف المقابل من الحلقة التي تحيط بالمغنين الشباب .

في حين كان البرهان الذي رفضت التفكير فيه هو : هل تحب «جوناثان» . !

قامت «فران» عندئذ بالدوران المفاجىء نصف دورة ، ثم

غادرت المكان وهي تركض بكل قوتها .. خفضت «فران» من خطواتها ، لدى وصولها إلى المكان الذي تركت فيه دراجتها .. كانت يداها ترتجفان لدرجة أنها لم تتكمن من فك قفل الدراجة بسهولة - إذ كان يراودها - في كل لحظة - شعور بسماع ضجة من يلاحقها .

ولكن لم يتبعها «جوناثان» في هذه المرة ! ..

عادت خفقات قلبها إلى تسارعها الطبيعي ، في حين أنها ركبت دراجتها وذهبت وهي لا تعرف إلى أين ؟ والدموع مازالت تتلألأ في عينيها ..

كانت «فران» قد ذهبت في هذا المساء إلى رصيف الميناء ، على أمل أن تجد جواباً لجميع الأسئلة التي تراود فكرها .. ولكن كان الجواب أصعب مما تنتظره هي نفسها !

كان سواد الليل قد ساد المكان ، عندما قررت «فران» أخيراً العودة إلى المنزل ، حيث دخلت ، بعد أن وضعت دراجتها في مكانها المعتاد - من الباب الخلفي - لتتوجه مباشرة إلى غرفتها .. إنها لم تكن تريد أن يراها أحد والدموع تغطي خديها . ولا حتى «جوان» أو «ماريا» ...

وعاد هدوء النفس إليها رويداً رويداً . قبل كل شيء لم يكن وجود «جوناثان» على رصيف الميناء بالأمر الغريب .. فهو عمل بكل بساطة على الذهاب لمشاهدة أصدقائها إذ لم تكن العادة المتبعة في «كي ويست» هي الذهاب والتصفيق للفنانين قبل حلول وقت تأمل غروب الشمس ؟ ! ..

إنه لم يكن من المنتظر حتماً أن يعثر هناك على «فران» ، بل حتى أن يراها وهي غارقة في دموعها ..

هذا ومن المفروض ألا يعلم أبداً - مهما كان الثمن - السبب وراء خيبة الأمل التي تعاني منها .. عليه ألا يعرف أبداً أنها تحبه !

ومع استرسالها في تذكر شريط حياتها ، كانت نظرته التعبيرية لا تفارقها . إضافة إلى بقاء وجهه ثابت الملامح ، وقاسياً .. ترى هل يفكر بشيء مما تصوره ؟ ..

ولكن ، لم يعد أمامها متسع من الوقت للتفكير . إذ كان عليها التحضير للقاء لا ترغب فيه ينتظرها .. أدخلت «فران» المفتاح في الباب وفتحته .. وكانت تلك هي المرة الأولى التي تتصرف بها على هذا الشكل ..

أخذت «فران» تحضر نفسها ، بعد استحمامها لتناول فستان حريري سماوي اللون ، ولكن ما لبث أن قرع الباب وسمعت صوتاً يناديها :

- « فران » .

إنه صوت «جوناثان» ... ازداد خفقان قلبها ، وتجمدت في مكانها ، في حين اتسعت حدقتا عينيها ، وثبتتهما على قبضة الباب .. ولكن لم يصرّ في النداء ..

بدأت «فران» بوضع قليل من المكياج على وجهها ، رغم أنها لم تكن تعاني أبداً من مشكلة العناية بمظهرها ، منذ يوم حضور حفل استقبال «الينور» .

كان شعرها الذهبي يحيط بوجهها ويبتعد عنه بواسطة شرائط بسيطة .. في حين يلاحظ عمق عينيها ، اللتين كانتا بلون فستانها الأزرق ، بواسطة الماسكارا التي تضعها على جفونها ، إضافة إلى البودرة الزرقاء التي تغطيهما ..

بدت «فران» في مظهرها هذا أكبر من عمرها .. ولكن ألم يكن هذا ما تتمناه حقاً؟! ..

وما إن دخلت بهو المنزل ، وجدت هناك «لاري» و «جوناثان» برفقة «الين و «بيل الدين» .

ارتاحت «فران» مباشرة لهذين الزوجين ، حيث كانت هناك «الين» شديدة الحيوية والروحانية تشكّل تعارضا مع زوجها المائل إلى البرودة وطويل القامة بحيث أنها لا تصل إلى كتفيه ..

قدّمها «جوناثان» إليهما على أنها خطيبته .. وبالمقابل لم يبد الزوجان «الدين» أي استغراب ، واستنتجت «فران» أنهما يعلمان بهذا الأمر مسبقاً ..

بدأ الحديث يدور بينهما حول «كي ويست» ، واشتركت «فران» في المحادثة ..

جلست « فران » بالقرب من « لاري » وهي تبتسم له ابتسامة عريضة احمرّ منها وجهه خجلاً .. ولكنها بالمقابل رفعت نظرها -بصورة لا إرادية - نحو «جوناثان» الذي كان يتأملها بغيظ .

ظل «لاري» بجانبها طيلة فترة السهرة ، إذ إنها كانت تحس بالقرب منه بالأمان .. وكأنه يحميها من «جوناثان» ، الذي كان ينظر إليها غاضباً ..

انسحب كل من «الين وبيل» من المكان ، ثم لحقت بهما «فران» لتتوجه إلى غرفتها هناك حيث جافاها النوم ، وظلت تتقلب في سريرها ، وهي لا تستطيع إبعاد الأفكار المتعارضة التي تراودها .. لم تكن «فران» تعرف إلا علاجاً واحداً للقلق وهو القراءة حتى يغلبك النعاس وترخي جفنك . ولكنها تذكرت حينئذ أنها نسيت كتابها بجانب المسبح . الجميع نيام الآن ، لذا يمكنها النزول إلى الحديقة دون التعرض لخطر مقابلة أحد مهما كان ..

ارتدت «فران» روبا حريريا فوق قميص النوم الشفاف ، ونزلت الدرج حافية القدمين ، حيث وصلت المسبح ، بعد مرورها فوق العشب الرطب .. كان كتابها مايزال في مكانه .. أخذته وتوجهت للعودة عندما سمعت صوتاً يناديها ، صرخت مستغربة :

– «جوناثان» لقد .. لقد أخفتني .

كان قريباً جداً منها ، وقدماه هو أيضاً حافيتان ، كما أنه لم يكن يرتدي إلا روب الحمام القصير ..

قال لها مفسراً :

– لقد سمعت خطواتك وأنت تنزلين السلم .. لذا انتهزت الفرصة للتحدث إليك .

بدت السخرية في كلامه وهو يتابع قائلاً :

– .. بعيداً عن وجود الملاك الحارس لك !

تسارعت نبضات قلب «فران» دون توقف ، وبدأت رجلاها ترتجفان :

– إنني .. إنني لم أتمكن من النوم ، جئت إلى هنا للبحث عن كتابي الذي تركته .

حملت فران الكتاب وحاولت المغادرة لكنه أمرها قائلاً :

– لا تذهبي !

تجمدت «فران» في مكانها .

– أريد أن تخبريني بما حدث بينك وبين « لاري » أثناء غيابي ؟ !

عضت « فران » شفتيها قائلة :

– لا شيء ، ولكن .. أنت على حق ، يا « جوناثان » إن « لاري ».. يحبني . لقد عرض عليّ الزواج .

ظل «جوناثان» صامتاً .

في حين تمتمت «فران» قائلة :

– إنها غلطتي . لقد أخبرته – بطريقة ما – أن خطبتنا .. لم تكن إلا خدعة .

ترى لِمَ يظل « جوناثان » صامتاً ؟ بدأت دقات قلبها تعلو بصوت خفقانها ، ولكنها أجبرت نفسها على متابعة الحديث قائلة :

– قد يكون الحل ، في زواجي من «لاري» أليس كذلك ؟ إذ لن تبقى بذلك مسؤولاً ومشغولاً بي .. ولا حتى الإدعاء بأننا خطيبان !

ظل «جوناثان» صامتاً .. في حين أضافت «فران» بخيبة أمل قائلة :

– سيكون «لاري» زوجاً جيداً ، إنني متأكدة من ذلك .

كانت «فران» تحس بالإعياء ، لمجرد اقتراح الزواج من رجل آخر غير هذا الذي تحبه . ولكن راودتها فكرة أنقذتها .. عليها الهروب الآن ، قبل الاستسلام إليه ، هذا في حال أنها مازالت تريد الاحتفاظ ببعض من كبريائها ..

ولكن شدها «جوناثان» من كتفيها وجذبها إلى صدره .. لقد تمكنت من استنشاق رائحة الكولونيا التي يضعها ، ومن الإحساس

بحرارة جسده أخذ يداعبها ولكنها عادت فجأة بذاكراتها إلى الكلام الذي سمعته وأحست بأن «جوناثان» خدعها ، فهو قد توصل حتماً إلى التيقن من حبها له .. إذ إنها لم تبعده عنها . وفجأة دفعته بعيداً .. وسارعت بالهروب إلى غرفتها إنها المرة الثانية التي تهرب فيها من خلال أربع وعشرين ساعة .. وهي المرة الثانية أيضاً التي لم يلحق بها «جوناثان» .

♥ ♥ ♥

الفصل التاسع

كانت «فران» على وشك ارتداء ملابسها ، عندما قدمت «جوان» تخبرها بوجود من يريدها على الهاتف .

– من المتحدث ؟

– إنها امرأة . لم أسألها عن أسمها .

ربما كانت عمتها هي المتحدثة ...

استعجلت «فران» للرد على المكالمة .

– ألو «فران» «الينور» تتكلم .. لقد حاولت الاتصال بك بعد ظهر يوم أمس ، ولكنني لم أجدك . .. لم أستطع أبدا الاتصال بك أمس مساء .. إنني لن أدخل في التفاصيل .. ولكن لديّ مشاكل عائلية ..! إذ هناك ابنة أخي التي تمر بفترة المراهقة ، ووالدتها موجودة حالياً في أوروبا ! بالمقابل ، فإن عليّ الاهتمام بـ«فاني» بانتظار عودة والدتها من رحلتها ، وبالتالي فأنا مضطرة لإغلاق المحل مدة أسبوع على الأقل .. ولحسن الحظ ، أننا نمر بفترة

ركود حالياً .. وأظن أن هذا الخبر جيد بالنسبة لك ، أليس كذلك ؟ فها أنت الآن في فترة أجازة ! ..

ولكن كانت «فران» تفضل مئة مرة أن تظل تعمل .. إذ كيف سيمكنها ترتيب الأمور الآن لتجنب رؤية «جوناثان» ؟

ها هي تقابل «الين» في الطابق الأول وتحكي لها ما حدث معها ..

صرخت «الين» فرحاً :

– هذا حسن جداً . إذ سيكون بإمكانك أن تتجولي معي في «كي ويست» .

– نزلت الاثنتان معاً وتوجهتا إلى بهو المنزل ، مع عدم توقف «الين» عن الكلام :

– هل تعلمين أن الرجال ذهبوا إلى الصيد ؟ كان «بيل» يريد أن يأخذني معه .

لكنني أجبته :

– شكراً .. إنني لا أريد أن أمضي نهاري على ظهر مركب صيد ياللأسف!

كان هذا الخبر بالنسبة لـ«فران» بمثابة عزاء ، إذ ستصبح بذلك غير معرّضة - على الأقل - لمقابلة جوناثان كثيراً .. لذا توجهت إلى «الين» قائلة بكل سرور :

- إنني على استعداد لمصاحبتك حيث تشائين ! .. ماذا تريدين أن تفعلي ؟

- إنني أحلم .. بالقيام بجولة سياحية .

- إنها فكرة رائعة .. هل بإمكاننا القيام بجولة وسط الجزيرة بواسطة القطار الصغير ؟ .. إنني أخشى أن أقول ذلك ، إذ إنني لم أركب به إطلاقاً !

تابعت «الين» بلهفة قائلة :

- كما يمكننا الذهاب أيضاً إلى رصيف الميناء . أخذنا إليه «جوناثان» البارحة ، ولكنني أحب زيارته مرة ثانية ، إذ إن هذا المنظر المتكامل رائع الجمال ..

ثم أمالت رأسها بدلال ، وقالت بابتسامة :

- لقد حدثوني البارحة .. عن واحدة من قريباتنا .. ولكن لاشك أنك تعرفينها ! إنها «آنا تايلور» ؟

هزت «فران» رأسها بالإيجاب :

- تصوري أنها كتبت لنا حول تلك المنطقة قبل غروب الشمس ووصفتها بسوء عرفت من خلال أنه سينال إعجابي أيضاً !!

ثم انفجرت ضاحكة :

- «آنا» المسكينة المقلّدة لكل شيء ! .. إنها غير قادرة على إبداء حماس حقيقي تجاه أي شيء مهما كان ! .. وإنني اعتدت دوماً على معاكستها في كل أمر تحكم عليه بالسوء !! ..

كانت «فران» تتمنى لو تجيبها بكل حرارة عن هذا الرأي ، ولكنها آثرت السكوت.. في حين استمرت «الين» بحديثها وعادت لتؤكد من جديد قائلة :

- إنني أحب العودة إلى ذاك المكان ، لأن الأمر لم يكن مضحكاً ، مع « جوناثان » فهو عصبي المزاج .. لنذهب ونعلم لماذا ! ..

- غالباً ما تظهر عصبيته لأسباب لا نجد لها تفسيراً -فهو- دائم التواجد في هذا الوقت بالذات في «كي ويست» ، مهملاً أعماله ، وهذا مالم يفعله البتة .

ثم انفجرت ضاحكة :

- إن الجميع عندنا في « ماين » يتساءلون حول ما حصل معه .. إذ إننا لا نراه كثيراً ، وقد مضى علي هذا الحال عدة أشهر ! ..

- إن «لاري» و «جوناثان» مشغولان كثيراً في عمليات ترميم منازل الـ«كونش» القديمة ، هل تعلمين ذلك ؟

رفعت الين كتفيها وهي مستمرة في الكلام :

- إن «لاري» قادر تماما على العمل وحده و «جوناثان» يعلم هذا الأمر جيداً .

ثم ابتسمت وأردفت :

- ولكنني أعلم الآن السبب وراء بقاء «جوناثان» أشهر عديدة في «كي ويست»

ارتعشت «فران» .. قليلاً .. ترى هل تتخيل «الين» أن السبب هو وجودها ؟ إذن فلن يخبر «جوناثان» أصدقاءه بأن أمر هذه الخطوبة لم يكن إلا خدعة ؟ ! ..

لذا سارعت «فران» إلى طرح أول سؤال وَرَدَ على خاطرها :

- ترى هل انتهيت إلى العروض التي يقدمها الشباب على رصيف الميناء ؟

- أوه. أجل ، إنني قمت بمثل هذه الأدوار ، وأنا في الثانية عشرة من عمري ! ولكن على القول بأنني لم أكن أتمتع بعقل المغامرة ذاك .. وإنني أسف دوماً لهذا الأمر .. إضافة إلى أن ..

نظرت إليها «فران» نظرة استغراب .. هل من الممكن أن تقوم بهذه المهنة سيدة مثل «الين» ..

صرخت «الين» ضاحكة :

- لقد رمقني كل من «بيل» و«جوناثان» بنفس النظرات ، عندما أخبرتهما بهذا الأمر .. ومع ذلك فقد كنت مخلصة وصادقة .. إذ على الشباب أن يستفيدوا من حريتهم ، أليس كذلك ؟ إذ ما تلبث أن تأتي المسؤوليات لتثقل كاهلهم ! ..

سألتها «فران» بلهجة حادة :

- «الين» ، هل حدثك «جوناثان» عن .... ماضيّ ؟

- إطلاقا .. كل ما قاله فقط هو أنه قابلك في «كي ويست» .. وطرحت عليه بعض الأسئلة حولك - من باب الفضول - لكنني لم

www.elromancia.com

أنجح في الحصول على أية معلومة.. إذ إن «جوناثان» يستطيع - عندما يريد - أن يكون صامتاً كالجبل ..

قالت «فران» وهي منفعلة :

- عليّ أن أخبرك يا «الين» بشيء ما .. وبدأت تقص عليها الظروف التي أتاحت فرصة التعارف بينها وبين «جوناثان» ، وما حدث بعد ذلك ، ثم حول اتفاق الخدعة الذي دار بينهما .

واختتمت «فران» حديثها قائلة :

- وهكذا ! فقد أصبحت علي علم بكل شيء !

كانت «فران» تقص الحكاية بسرعة ودون توقف أبداً .. إذ أنها كانت تكره جداً فكرة العيش في الكذب ...

وصرخت إلين قائلة :

- إنها قصة مؤثرة حقاً ! رومانطيقية أيضاً ..

رومانطيقية ؟ ! لم يكن هذا هو رأي «فران» نفسها ، لكنها لم تحتج أبداً .

ولم توجه إليها «الين» أي سؤال مما كانت تخشاه .. بل على العكس تحدثت إليها في موضوع آخر ، لتغير مجرى الحديث ..

- أصبح الوقت متأخراً ، وعلينا الذهاب الآن للتجول في «كي ويست» إذا كنا نريد رؤيتها ! ..

هذا ولم تتوان «فران» إبداء الرغبة في هذه الجولة ، مع «الين» . وغادرت الاثنتان لركوب القطار الصغير في بادىء الأمر ، حيث تجولتا داخل الجزيرة . ثم ما لبثتا أن توجهتا لزيارة منزل «ارنست فمنغواي» ، وحديقة الحيوانات المائية ، والأحواض التي تعيش فيها السلاحف ، والشواطىء ومنزل الكونش القديم الذي تحوّل إلى متحف .. ثم أخذت كل من «فران» و «الين» بالتسكع بين الشوارع الصغيرة ، حيث اشترت «الين» بعضا من الأصداف .

وصلت الاثنتان إلى شاطىء الصيد في تمام الساعة الرابعة من بعد الظهر ، ثم مالبثت «فران» أن عادت إلى تذكر أن هذا هو موعد عودة مراكب الصيد حيث تواجد - آنذاك - الكثير من الصيادين والمراكب ، كما كثر عدد المصورين الذين يحاولون التقاط الصور الرائعة ..

سألتها «الين» :

ماذا يحدث ؟

وجدت «فران» نفسها مجبرة على التفسير . وصرخت «الين» بنشاط :

– أوه ! ولكن علينا – في هذه الحالة – انتظار رجالنا وأتمنى أن يكون الصيد وفيراً ..

أردفت «فران» قائلة :

– هل تذكرين اسم المركب الذي استأجروه ؟

كان بإمكان الأثرياء فقط أن يستأجروا أثناء أجازاتهم ، مركباً للصيد مع طاقمه مدة يوم كامل .

ردت الين :

– إنني لم أفكر في سؤال «بيل» عن اسمه .. ولكننا سنراهم حتماً ، إذا تمشينا على طول الرصيف ..

وفجأة لاحظت «فران» مكانهما . ثم وما إن وقعت عيناها على «جوناثان» حتى كان لديها شعور وكأن قلبها سيقفز من صدرها .

نادت الين قائلة :

– «بيل» !

رفع «بيل» رأسة في حين تمكن «جوناثان» من العثور على

مصدر الصوت ، وتقابلت عيناه مع عيني «فران» ، حيث يتمكن المرء من ملاحظة تساؤل كبير في حدقتيه اتجهت «فران» مباشرة للحديث مع «لاري» ، وذلك بهدف إخفاء غضبها .. ولكنها كانت تحاول الإنصات إلى حديثه .. وهي تنتظر اللحظة التي سيقترب فيها «جوناثان» منها ولكن يبدو أن «جوناثان» لم يكن ينظر إلاّ للأسماك التي اصطادها خلال فترة النهار ، ولم يتوجه إلى «فران» إلا بإيماءة من رأسه فقط ..

قالت إلين :

– إنني أود تصويركم مع طاقم المركب .. تجمعوا خلف صيد هذا اليوم ..

قام «جوناثان» – بعد الاستراحة – باختيار بعض الأسماك لتطهوها «ماريا» على العشاء .

قالت إلين :

– والباقي من السمك ؟

أجاب «لاري» ، وهو يدخل إلى المكان بسرعة :

– سيتم بيع الباقي في السوق .. ثم يقوم أعضاء طاقم

المركب باقتسام ما يكسبونه من البيع وتنفس الصعداء قائلا :

– لذا فليس هناك داعٍ لانتظارنا ..

صرخت «الين» قائلة :

– اوه ، إنني لا أريد إضاعة متعة رؤية الصيادين وهم عائدون بصيدهم الوفير ..

ها هما «الين» و«بيل» يأخذان مكانهما – بعد فترة قليلة – داخل سيارة «جوناثان» المرسيدس ، في حين التفت «لاري» إلى «فران» قائلا :

– هل بإمكاني الذهاب معك إلى « تريومف »؟

– بالطبع .

– سأبدّل ملابسي ، حتى لا تشمي رائحة السمك ..

سُرّت «فران» في رفع كتفيها بلا مبالاة ، وأدركت موقف «لاري» بصورة سيئة .. إذ يبدو أنه لم يعرف قيمة تجوله هذا اليوم في الهواء الطلق ..

لذا سألته عندما أصبحا وحيدين :

– ألم تكن تمزح ؟

قال «لاري» بمبالغة :

إنها المرة الثانية على الأقل التي أخرج فيها إلى البحر ، خلال شهر واحد .

قطبت «فران» حاجبيها :

– لم أكن أعلم بتوصلكم إلى مثل هذا الاكتشاف .. إنك لم تحدثني البارحة عن هذا الموضوع ..

– لأنه لم يكن لديّ أي هدف في الاجتماع مع الآخرين ! إنني بعيد كل البعد عن التعصب والحماس للبحر .. ولكن قام «جوناثان» بإيقاظي فجر صباح هذا اليوم ، وأجبرني على اصطحابه ! ..

قطّبت «فران» حاجبيها ، ومدت يدها إليه :

– وأخيراً ، نجوت ...

وصلت السيارة أمام المنزل وسارع «جوناثان» للنزول منها :

– إنني مستعجل للاستحمام !

وأضاف بسخرية :

– سترون إذن أن موضوع الحديث المشترك بيننا ، هذا المساء سيكون قصص الصيد .

كما كانت «فران» ترغب أيضاً بالتمدد ، وذلك بعد تقضية النهار بأكمله بمصاحبة «الين» .. لذا قررت الذهاب للسباحة .

غطست «فران» في حوض السباحة ، جيئة وذهابا ، وفجأة سمعت صوت «لاري» من بعيد يناديها :

– هيا ، هل تسمحين ؟

كان «لاري» يرتدي شورتاً قصيراً ، وهو لباس بدلة السباحة الوحيدة التي يمتلكها في حين لم تستطيع «فران» منه نفسها من مقارنته ، ولكن كان «لاري» رغم كل شيء لطيف معها ..

صرخت قائلة :

– تعال ! إن المياه معتدلة !

وما أن وصل الباقون ، حتي كانت «فران» تجلس على حافة المسبح ، بالقرب من «لاري» ..

توجهت «الين» بالحديث إلى «فران» قائلة:

– «فران» إنك رائعة الجمال ببدلة السباحة هذه والتفتت إلى زوجها قائلة مازحة :

– أنت لا تنظر ؟

ابتسمت «فران» مبتهجة .. ثم التفتت لتبحث عن «جوناثان» بنظرها .. ولكن لم تلمحه أبداً .. ظلت تقاوم رغبتها في رفع عينيها باتجاه نافذة غرفته التي تشرف – كغرفتها – على حديقة المنزل ..

وصل «جوناثان» متأخراً حوالي نصف الساعة .. حيث كان الجميع داخل مياه المسبح ، يلعبون برش المياه ، وأصوات ضحكاتهم تضج بالمكان ..

ومع وصوله عاد السرور إلى «فران» ، وأصبحت تحس الآن أنها موجودة بكامل جسمها وعقلها مع «الين» و«بيل» ، وتلعب معهما مبتهجة من كل قلبها ..

كانت هي أول من دهش لهذه الطبيعة التي تصرف بها .. لدرجة أن اعتقدت أنها تنتمي إلي هذه الطبقة الاجتماعية الخاصة والمميزة .. ومع ذلك !

ظل الجميع متحلقين حول المسبح ، ببدل السباح ، في حين قام «جوناثان» بإحضار المشروبات .. تناولت «فران» عصير الفواكه الذي اعتادت عليه .. في حين كانت تتناول مع الطعام –أحياناً – قليلاً من النبيذ .. ولكنها لن تعود أبداً – مهما

كان السبب - لإعادة تجربة تناول الويسكي التعيسة ..

حان الوقت للذهاب لارتداء ملابسهم وتحضير أنفسهم لتناول العشاء.

قال «بيل» متوسلاً :

- أعتقد أننا متعبون جميعاً ..

ذهب الجميع ، ليعودوا بعد دقائق ، وقد ارتدوا ملابسهم ، وليلتفوا حول الطاولة لتناول وجبة السمك الذي اصطادوه قبل ساعات مضت ..

ودار الحديث بينهم مطولاً .. ونطق «لاري» بجملته الأخيرة ، وهو ينهض متوجهاً إلى غرفته :

- أعذروني ، عليّ الذهاب للنوم .. لم أعد أقوى علي مقاومة النعاس والتعب ..

كانت تلك هي الإشارة ، حيث تبعه كل من «الين» و «بيل» ، ثم حاولت «فران» اللحاق بهما ، ولكن أوقفها «جوناثان» قائلا :

- «فران» لديّ ما أقوله لك .

قطبت «فران» حاجبيها وأجبرت نفسها على النظر إليه من

تحت الجفون ، حيث بدا خلال تلك الأمسية ، وهو لا يحس بتواجدها على طاولة الطعام .. لِمَ هذا الاختلاف المفاجيء في موقفه ، خلال هذه الأمسية ، في حين كان يقبلها ، قبل قليل أثناء تواجدهم في المسبح ؟ ! .. كانت مجبرة للقضاء على هذه الذكرى في أفكارهم ، ولكن للأسف ..

- إجلسي .

ونظر إليها ملياً قائلاً :

- لا تتركي رأسك بهذا الوضع ! .. إنك تبدين كالمحكوم عليها بالإعدام .

ثم أخذت «فران» مكانها على الكرسي الذي أشار لها عليه .

سألته «فران» فجأة :

- ماذا تريد مني ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجهه وقال :

- سأقول لك .. لاحقاً .

- ولكنني لا أفهم شيئاً ، إنك ....

قاطعها «جوناثان» قائلاً :

www.elromancia.com

- إنني أريد منك أن تعذريني على ما صدر عني مساء البارحة .. ثم حددّ قوله - بعد فترة صمت - قائلاً :

- بالقرب من المسبح ...

وكأنه كان بحاجة لإضافة هذا ! بدأ الاضطراب يعتري «فران» .. كانت بعيدة بأفكارها كل البعد عن سماع اعتذاراته ! ومع ذلك كان يصر مؤكداً :

- كان تصرفي تصرفاً لا يمكن الاعتذار عنه .. إلا أنني ..

وترك «جوناثان» جملته معلقة ومال برأسه ، لينصت إلى الكلام ، وهذه عادته في حال رغبته الإنصات إلى ما هو هام .

التفتت «فران» غاضبة ، إذ كان اعتذار «جوناثان» عن تقبيله لها مساء ، عكر مزاجها وأزعجها ، لأن هذا معناه ، أنه لا يريد أن يذهب معها إلى أبعد من ذلك .. ترى لِمَ قال هذا الكلام وقدَّم هذه الاعتذارات ؟ هل السبب هو ألا يعطيها آمالاً كاذبة .. أم ألسبب أنه وجدها قليلة الخبرة إلى هذا الحد ....

ثم جاء صوت «جوناثان» الحاد ليقطع عليها تفكيرها :

- إذن .. هل تقبلين أسفي ؟

ماذا ستجيب ؟ أتجيب بأنه لا وجوب للاعتذار لأنها تشعر باللوم أكثر منه ؟ .. ترى ألم تكن هذه القبلات تعبر عن رغبتها الحارة ؟ !

ولكن دفعها كبرياؤها ليمنعها من الكلام .. لذا سرت في التمتمة قائلة :

- لن نتحدث حول هذا الموضوع .. هذا أمر عديم الأهمية .

وأحست بغصة في حلقها .. ترى كيف كان بإمكانها التحدث بهذه الطريقة ؟ .. ترى ألم تكن قبلات ومداعبات «جوناثان» هي أهم ما في حياتها ، أليس هذا الأمر حقيقة ؟ !

أحست «فران» بنبضات قلبها تتسارع ، وهي ترى يده تتغلغل بين خصلات شعرها .. كم كانت تحب تغلغل هذه الأصابع بين خصلات شعرها الأشقر ...

- « فران » ، إن طرح مثل هذه المشاكل يدفع الملل إلى نفسي .. ولكنني بحاجة إلى الفهم .. البارحة مساء ، كنت معي في البداية وأجبت على سؤال .. واعتقدت أنني نجحت أخيراً في جعلك تحطمين كرهك للرجال .. وفجأة أصبحت بين ذراعيّ ، لِمَ

www.elromancia.com

هربت فجأة ؟ ! هل السبب .. هل هذا هو السبب ؟ ! ...

ما هذه السخرية .. بدأ هو ذاك الذي يفهمها جيداً يتصور بأن حركتها التراجعية ناشئة عن كرهها هذا للرجال ، الذي تصوره موجوداً داخلها ، والتي تركها من أجلها ! .. لقد نسيت كل كبتها القديم . واكتشفت السرور والبهجة والرغبة في العطاء .. وهذا ما كان بسبب وقوعها في حبه ، وها هو يعتقد أنه أثار فيها حركة اشمئزاز وكراهية ..

ومع ذلك فقد قام «جوناثان» - دون أن يدري - بتقديم إمكانية التخلص من هذه الورطة دون أن يتأثر حبها .. ولكن كان الكذب كلفها كثيراً ، ردت عليه «فران» بصوت متحشرج :

- أجل يا «جوناثان» .. كان هذا هو السبب !

قطعت كلامها والدموع بدأت تترقرق في عينيها ، إذ أرادت أن تبوح له بالحقيقة ..

وهكذا اختفت جميع مشاعر الذنب التي نجح والدها في زرعها بنفسها ، حيث تم القضاء عليها من خلال قوة حبها .. استطرد «جوناثان» قائلاً بلهجة يشوبها التأثر :

- لا تخافي .. إن هذا لن يتكرر ثانية ..

وعادت اللمحات القاسية إلى وجهه .. حيث بدا فجأة بعيداً جداً عنها .. وعليها أن تصمت ! كانت تريد لو حدث كل هذا بطريقة مختلفة ...

أخذت « فران » تتأمل الرأسين العائمين على سطح مياه المسبح وهي تحاول كتم غيظها ..

كانت تلك الخصل السوداء من الشعر تعود إلى «جوناثان» ، في حين يعود ذاك الغطاء الرأسي إلى «آنا تايلور» .. «آنا تايلور» غير المرغوب فيها ! .. لم يكن يلاحظ - منذ فترة - وجود غيرها في المكان .. ودوماً برفقة «جوناثان» ! وجدت «فران» نفسها تقلل من اصطحاب «لاري» .. كانت «فران» تلبس في أصبعها دوماً خاتم الزفير والماس ، ولكن من سيصدق تلك الخطوبة بعد الآن ؟ .. إن « الين » تعرف الحقيقة كاملة ، وربما باحت بها لزوجها .. و «لاري» كان أول من اعترفت له «فران» نفسها بالحقيقة ، أما بالنسبة لـ«آنا تايلور» فيمكنها الاقتناع بعدم وصول هذه العلاقة غير الواضحة إلى الاكتمال وتحقيق الزواج .

وتأملت «فران» ذراعي «جوناثان» وعضلاته وقلبها يخفق باستمرار ذاك الذراعان اللذان يضربان المياه بسباحة الـ«كرول» .. «جوناثان» ذاك الذي لم يعد يبدي تجاهها - في الأيام الأخيرة - إلا نوعاً من اللامبالاة اللبقة واللطيفة .. في حين كان يراودها - في بعض اللحظات - إحساس بأنها غير موجودة .. بالنسبة لـه ، على الأقل .

كما لم تتح الفرصة أمامهما ، منذ حديثهما في تلك الليلة ، إلى التواجد وحدهما معاً .

كانت تعتقد عند مقابلة عينيه أنها تقرأ فيهما نوعاً من التأسف ... من السهل تفسيره .. إذ كان عليه الاقتراب منها في سبيل ضيوفه ولتعريفها على أصدقائه .. ثم مالبث أن صار واضحاً أنها أصبحت تشكل عائقاً بينه وبين «أنا» ، تلك التي لم تتوقف أبداً عن تكرار استيائها وضيقها ، في كل مرة يتواجدان خلالهما لوحدهما ..

ارتفع صوت «الين» وهي تضحك قائلة :

- «فران» ماذا تفعلين والحزن ظاهر على وجهك ؟ إنك تبدين وكأن ساعة الموت قد حانت ! ..

قفزت «فران» وأجبرتها على الابتسام :

- اوه ، إنني أتأمل تلون الجميع بالسمرة تحت أشعة الشمس ..

تدخل «بيل» قائلاً :

- لو عملنا مسابقة ، فإنني أعلم تماماً من سيحوز على الجائزة الأولى ! ..

لم تصغ «فران» لكلامه أبداً .. بل كانت تنظر إلى كل من «جوناثان» و«أنا» وهما يخرجان من المسبح ..

أجابت «الين» ، وهي تشير إلى ملاحظة زوجها موجهة الكلام إليها شخصياً :

- اوه ! شكرا يا عزيزتي .

انفجر الجميع ضاحكين باستثناء «أنا» التي حافظت على لمحة الملل المعتادة على وجهها ...

التفتت «فران» نحو «لاري» قائلة :

- هل سبحت ؟

رفعت عينيها - بشعور لا إرادي - باتجاه «جوناثان» لتذكر ،

ترى هل يتذكر الأيام التي قاما خلالها بالسباحة معاً ، ضمن سباق كان ربحه لا محال ؟

قال «بيل» مستهزئاً :

– يقال بأن فران قررت الاهتمام بخط «لاري» .

وأضاف قائلاً :

– لماذا تضيع وقتها معه ؟ إن لديّ إمكانيات أفضل.

ارتاح « بيل » قليلاً ، وهو يمد رجليه النحيلتين الطويلتين وصدره اللذين لم تتمكن شمس «كي ويست» من تلوينهما حتى الآن ..

صرحت «فران» قبل النزول إلى المسبح قائلة :

– إنك تقول الكثير من الحماقات في هذا اليوم !

في حين لم ينبس «جوناثان» بأية كلمة ، طيلة تبادل المزاح ذاك .. ولكن لن تتوقف نظراته الحادة من التسلط باستمرار على «فران» ..

قامت «الين» ، عند خروج «فران» من الماء بشدها بتكاسل .

وتنهدت قائلة :

– إنها المرة الأولى التي لا أسارع فيها بالعودة إلى منزلي بعد فترة الأجازة ! إن «فران» على حق عندما قالت لي بأننا لن نستطيع مقاومة سحر «كي ويست» ! ..

انفجرت «فران» ضاحكة :

– هل ستغادرين قريباً ؟

وهكذا أصبح الزوجان «الدين» صديقها بسرعة ، كما أخذت تعاني من فكرة مغادرتهما ....

قال «بيل» بلهجة عصبية :

– كانت مخاوفي حقيقية .. لقد وقعت «فران» الجميلة بحبي !

ولكن لم تتوصل هذه الجملة إلى تغيير الجو الذي أضيء فجأة بالكهرباء ..

ولوحظ مباشرة بريق يلمع في عيني «الين» .

– يبدو أن العالم أجمع يريد مغادرة كي ويست خلال هذه الأيام .

أشار «لاري» مصححاً :

– لست أنا .

www.liilas-romancia.com

واحتدت ملامحه قساوة :

– و«فران» أيضاً ..

بدا أن نظرته تقول هذا هو الأساس ، إذ بإمكان الباقين المغادرة ..

ساد المكان صمت غامض ..

سألت «الين» :

– «جوناثان» ، هل لديك الرغبة في استعادة العقد . أم أنك ستتمتع بلعب دور الفتى المراهق الذي ...

قاطعها «جوناثان» قائلاً بلهجة حادة :

– على رسلك يا عزيزتي ، إنني لم أتوقف عن ممارسة عملي في «كي ويست» إضافة إلى أنني على اتصال دائم هاتفيا مع مكاتبي في الخارج بحيث يمكنني اتخاذ جميع القرارات الهامة ، حتى ولو من بعيد وأطمح إلى تمضية الجزء الأكبر من الصيف في «ماين» .

لم يتجرأ أحد على طرح أي سؤال على «جوناثان» . كانت «فران» تراقبه وتتأمله وهو يتحدث لتستمع. بقلب مثقل إلى ما

يقول، كان التفكير في أنها لن تراه فترة عدة شهور، يصيبها بخيبة أمل كبيرة .. كان من المناسب ، خلال غيابه في الأوقات الأخيرة ، أن يعود كلما أمكنه ذلك .. ويبدو هذه المرة الأمر مختلفاً .

كما تعرضت «فران» خلال نفس الفترة لمشاكل في النظام العملي ، إذ ترى هل سيستمر «جوناثان» في استئجار هذا المنزل الكبير لـ«لاري» ولها أيضاً ؟ وفي حال ذهابه دون عودة ، ألا يصبح اتفاقهما ملغياً – بشكل اتوماتيكي؟ ..

قالت «الين» :

– هيا – ابتسامة – عليك يا «فران» أن تأتي في حال رغبتك بالسفر ، لزيارتنا في «بوسطن» أعلمي أننا سنكون أنا و«بيلي» متشوقين لاستقبالك .

التفتت «فران» باتجاه «جوناثان» .. نظر إليها نظرة تمعن .. ولكنه حافظ على تأكيد دعوة «الين» .. على كل حال ، لم يكن لديه رغبة في رؤيتها إلا في «كي ويست» .

وتأسفت «فران» – لأول مرة في حياتها – عن عدم سفرها كثيرا .. ومع ذلك ، فقد كانت تتمنى – لبضعة أشعر مضت – عدم

مغادرة «كي ويست» إطلاقاً ..

قال «لاري» بلهجة خفيفة :

– تزوجيني يا جميلتي ، إنني سأدور بك حول العالم ..

كان «لاري» يضحك ، وينظر إليها بعمق ، في حين كانت «فران» تعلم أنه يتحدث جدياً ...

أجابت «فران» بنفس اللهجة :

– انتبه يا «لاري» . ربما يكون بإمكاني ترك نفسي للمحاولة !

ودار الحديث عادياً .

ثم جاءتها الفرصة بعد قليل ، ارتداء ملابسها لتناول العشاء .

ارتدت «فران» ، ثوبها الأبيض ، وهو واحد من الفساتين المفضلة عندها ، وتذكرت – أثناء ذلك – وجوب ارتداء الخاتم الذي قدمه لها «جوناثان» بمناسبة الخطوبة الخديعة .. توجه نظرها نحو الخاتم ، بدأت دموعها بالإنهمار إذ في حال ذهاب «جوناثان» فإنها لن تعود مضطرة لوضعه في اصبعها . إذ عليها أن تعيده له ...

ظلت «فران» غارقة في أفكارها السوداوية ، ثم ما لبثت أن سمعت صوب باب غرفتها يفتح .. إنه صوت «أنا» الحاد :

– إذن .. فهو يزن حظه ؟ يقال بأن الاختيار أمر صعب ! .. إنني لا أصدق هذا الأمر .

نهضت «فران» فجأة وقالت :

– كيف تتجرئين على دخول غرفتي دون قرع الباب ؟

رددت انا ساخرة :

– إسمعي .. هذا الكلام .. غرفتي ؟! ..

وتقدمت بضع خطوات .

– لا تنقصك الوقاحة لتكلميني بهذه اللهجة ! .. ليس لديك ما تفعلينه هنا ! إطلاقاً ! .. إذا كان «جوناثان» اعتقد بوجوب العناية بك فالله وحده يعلم السبب ! .. فإنه كان يريد منذ فترة بعيدة أن يرمي بك خارج المنزل .. هو أخبرني بذلك !

بدأت «فران» تفرك يديها ، وهي تتصارع بين محاولة معرفة باقي الحكاية منها أو طردها خارج الغرفة ...

ولكن حملها فضولها على تحمل كلام «أنا» واستندت إلى

الحائط ، ورجلاها ترتجفان ، ثم مالبثت أن استعادت قوتها وسألتها قائلة :

– ماذا لو تزيدين في الشرح ؟

– لقد تأمل «جوناثان» في أن توافقي على الزواج من «لاري» قبل أن يستعيد هذا المسكين عقله .إضافة إلى وجود مشكلة بالنسبة لـ«جوناثان» ، كررت «فران» الكلام بصوت أعلى :

– مشكلة بالنسبة لـ«جوناثان» ؟

انتصبت «أنا» منتقدة وقالت :

– أجل لأنني رفضت – أتسمعينني ؟ لقد رفضت – الزواج منه طالما أنه يلعب معك دور الوالد الحنون ! .. وبذلك تجدين أنك وضعت العالم بأكمله ضمن حالات وظروف مستحيلة ! .. ولكن لديك قليلاً من التكتيك بأن تجعلي كل شيء يبدو طبيعيا ! ..

أرادت «فران» ألا تصدق كلمة من هذا الحديث ، ولكنها تصورت أن «أنا» تقول الحقيقة إضافة إلى أن وضع «جوناثان» وتعامله معها يؤكد هذا الكلام .. وإلا فكيف يمكنها أن تفسر نظراته لها ، طيلة هذه الفترة ؟ إن الأمر في منتهى البساطة :

لم يكن من المفروض أبداً أن يعرف ما يفعله في سبيل أن يطلب منها مغادرة المكان ..

تأملت «فران» الخاتم الذي نزعته من إصبعها ملياً ، وهي غير قادرة على الكلام ..

ولكنها توصلت أخيراً إلى متابعة الحوار قائلة :

– ولماذا لم يقل لي «جوناثان» برأيك هذا الكلام بنفسه ؟

ابتسمت «أنا» ابتسامة ماكرة وقالت :

– إنك حقاً ساذجة ! .. أو أنك بارعة في تمثيل دور السذاجة ، وهذا مالا يدهشني أبداً ..

– إن هذا ليس رداً .. فسري لي الأمر ..

– ليكن .. سأكون أكثر وضوحاً .. إن الناس جميعاً يعلمون – باستثناء «لاري» طبعاً – أن «جوناثان» أحضرك من الشارع وأنك كنت بالنسبة له أداة تسلية صغيرة و ....

تقدّمت «فران» منها خطوة ، وذقنها مرفوعة ، محاولة ضربها ، في حين أمسكت «أنا» بيدها وتابعت :

دعيني أنتهي من كلامي ، لنرى أن «جوناثان» يريد التخلص

منك بعد أن تسلى معك ، ولكنه يكره المشاهد التمثيلية .. لذا فقد قرر مغادرة المكان وهو يأمل أن تدركي أخيراً أنه عليك عدم انتظار أي شيء منه !

وتنفست الصعداء ثم أردفت قائلة :

– إنني لا أجد طريقته هذه صحيحة تماماً .. ولكن ماذا تريدين ، إن الرجال يفعلون هكذا ..

رفعت كتفيها ..

ها هي «فران» تنتقل – منذ اقتحام «أنا» غرفتها من الحماقة إلى خيبة الأمل .. والآن جاء دور الغضب .. إنه غضب بارد .. حيث صرخت بصوت يهتز محتقراً :

– كم هذا كرم منك أن تكلفي نفسك بكشف الأمر .. ولكن هذا أمر فضولي ..

واستطردت تاركة لسانها ينطق بالإهانة :

.... إنني لم أصدقك . وماذا لو تدعين «جوناثان» نفسه يحدثني بهذا الأمر ويخبرني عن نواياه ؟ ربما ستجدين المفاجآت .. من يدري ؟

كانت «فران» تصدق كلامها تماماً ، ولكنها اكتشفت في تلك اللحظة استطاعتها التلذذ بجرح «أنا» .. إذ إنه سيكون نوعاً من السرور تثبته من خلال تعكير «أنا تايلور» ، وذلك على الرغم من الألم الذي سببته لها ..

أصرت «فران» قائلة :

– نوع من المرأة الشريرة !

أحست «أنا» – للحظة – برغبة في إلقاء نفسها عليها .. ولكنها تمكنت من السيطرة على نفسها ، وأضافت بصوت حاد قائلة :

– ليفعل «جوناثان» ما يحلو له ، سواء أحَصَلَ على ما يريد منك أم لا ، أنت تعرفينه أكثر مني ! ولكنني متأكدة تماماً ، أنه لا يكنّ لك أي شعور .. لذا أنصحك أسرعي بالزواج من «لاري» قبل أن يغير رأيه !

وخرجت «أنا» وهي تغلق الباب بقوة ..

ارتمت «فران» في سريرها .. وقدماها لا تحملانها .. لم يستطع كبرياؤها أن يحقق لها أي شيء ، ولا أن ينقذها مما وقعت

فيه ولم تعد - هي الآن - بحاجة أبداً إلى الظهور على غير طبيعتها أمام «أنا» ، بدأت قواها تخونها ووقعت في حالة فشل ذريع ...

إذن لم يكن «جوناثان» يحبها رغم معرفتها به منذ فترة طويلة .. ولكنها كانت بعيدة كل البعد عن افتراض رغبته في التخلي عنها ، ولِمَ ؟ من أجل الزواج من «أنا» ؟ ! ..

هكذا إذن .. كيف لم يلاحظ هو هذا الوجه كامل الماكياج وتلك الابتسامات التي تنم عن أنانية وحشية ؟ ! ..

وفجأة سمعت طرقاً خفيفاً على الباب أفاقها من أفكارها ..

- أجل من هناك ..

وصل إليها صوت «لاري» ينادي قلقاً :

- أنت هنا يا «فران» ؟ إننا ننتظرك في الطابق السفلي لتناول العشاء .. هل كل شيء على ما يرام ؟

ردت «فران» مؤكدة :

- أجل ، أجل .. سأنزل ..

دهشت «فران» من تمكنها التحدث بهذه الطلاقة ، في حين كان العالم من حولها يدور .

حاولت أثناء العشاء أن تؤكد على أنها سيدة كاملة ولم يستطع أحد التوصل - أثناء سمعها تتكلم - لأن يتصور أو حتى يشك في كرهها وخيبة أملها .. وهي لم تضحك أبداً ضحكة طبيعية ..

كانت اللحظة الوحيدة التي أحست بالنوبان خلالها ، هي تلك التي فوجئت فيها بنظرة «جوناثان» المثبتة على الخاتم الذي تلبسه في اصبع يدها اليسرى ..

كان عليها أن تعيده له .. ولكن فيما بعد .. سيكون الأمر أفضل .

♥ ♥ ♥

الفصل العاشر

اقترح «لاري» على «فران» بعد تناول العشاء بنزهة ووافقت دون الحاجة لتكرار الطلب ..

خرج الاثنان معا ويداهما متشابكتان :

- «فران» ، عندما اقترحت عليك بعد ظهر هذا اليوم أن نتزوج وندور العالم معاً ، أجبت بأن من الممكن أن توافقي على هذا الأمر . أود القول .. هل كانت تلك الموافقة مجرد نكتة فقط ؟

كان صوته يشرق أملاً لدرجة أحست بالحرج من إجابته .. ولكنها تمتمت قائلة :

- «لاري» ... إنني لا أحبك .

شعرت «فران» بالارتباك لتسببها في طعن «لاري» بمشاعره .. لِمَ كان عليها أن تحب رجلاً آخر .. وهذا الآخر لا يكون إلا «جوناثان» نفسه ؟ !

- ربما يأتي اليوم الذي تبادليني الحب فيه ؟ من يدري ؟ !

توقف «لاري» فجأة وسألها :

صارحيني يا «فران» .. هل هناك .. رجل آخر في حياتك ؟

لم ترد «فران» بأية كلمة ، في حين ارتعشت شفتاها وتحدثت نظرتها نيابة عنها ...

سألها «لاري» :

- إنه «جوناثان» ، أليس كذلك ؟

سُرّت «فران» في هذا رأسها بالإيجاب .

تمتم قائلاً :

- أيتها الماكرة !

ثم استدرك قائلاً :

- أرجوك اعذريني يا «فران» .. ولا تلتفتي لما قلت .. إن «جوناثان» من أفضل أصدقائي . ولكنني ... أحسده ..

أحاط «لاري» كتفيها بيده ، وتابع الاثنان سيرهما .

ثم سألها بعد فترة صمت طويلة :

هل يعلم هو بهذا الحب ؟

- لا .

كانت تحاول الابتعاد عن إحداث الألم في نفسه .. ولكنها كانت تقدره عاليا ، لدرجة عدم تمكنها من إخفاء الحقيقة عنه . إذ بثت آلامه الحقيقة في نفسها شعوراً بالاحترام معاكساً للكراهية التي لاقتها من الآخرين .. أحست أن عليها أن تعامله بمنتهى الصدق والشرف ، مقابل أنها لم تستطع التجاوب معه في حبه لها .

سألها «لاري» بهدوء :

- ماذا ستفعلين ؟

- لا أدري .. إنني لا أود المكوث هنا كثيرا .. خاصة بعدما حدث هذا المساء ..

وقصت عليه ما حدث بينها وبين «آنا» ..

وأنصت إليها «لاري» بتأن ، ثم رفع كتفيه قائلاً :

- لقد مض عدة سنوات حتى الآن ، وهي تركض خلف

«جوناثان» ... ودون أن تحقق أي تقدم .. وأعترف أنني أدهش أحياناً في رؤيته فجأة يهتم بها .. ولكنني لا اقتنع بأن ... ترك جملته معلقة ، في حين لم تصر «فران» على معرفة المزيد ، إذ كان الموضوع بالنسبة إليها صعباً أو شاقاً لدرجة رغبتها في التحدث في موضوع آخر .

صرحت «فران» قائلة :

- عليّ أن أجد مكاناً آخر للإقامة .. إن بإمكاني الاستمرار في متابعة دروس بعد الظهر ، فقط في حال موافقة «الينور» على الاحتفاظ بي كبائعة في محلها .. اتدري ماذا أود أن أدرس ؟

- قولي ..

- العمارة . أرجوك ، لا تسخر مني ! إنني بالتأكيد لست ذكية إلى حد أن أصبح مهندسة معمارية ، ولكنني أستطيع المحاولة ، أليس كذلك ؟

لم تتجرأ «فران» علي النظر إليه ، خوفا من قراءة السخرية في عينيه .

قال «لاري» فرحا :

- إنني لا أسخر منك أبدا ! .. بل على العكس تماما .. إنني أبوح لك بأنني فوجئت بقرارك هذا .. ولكن تبدين بالنسبة لي مقتنعة تماماً بمقدرتك الحالية المتواضعة ، إنك مخطئة في هذا الأمر ! أنت ذكية جداً يا «فران» ! ..

عاد الاثنان إلى المنزل ، ليجدا أن الجميع قد خرجوا .. ظلت «فران» جالسة في بهو المنزل تشاهد التليفزيون مع «لاري» ، ثم مالبثت أن صعدت إلى غرفتها لتخلد للنوم .. حيث غطت فيه مباشرة لدى وضع رأسها على المخدة ، بعد الانتهاء من يوم ملىء بالانفعالات ..

ولكن جاءت ضجة الأصوات من الخارج ، لتوقظها من نومها في حوالي منتصف الليل .. حيث عاد كل من «جوناثان» و«بيل» و«الين».

ثم مالبث أن عاد الصمت إلى المكان ، ولكن لن يعد بإمكان «فران» العودة للاستسلام للنوم من جديد .. إذ خامرها شعور

غير محدد بأنها نسيت شيئاً هاماً وأساسياً ولكن ما هو هذا الشيء ؟ ! ..

صرخت وهي في سريرها قائلة :

- الخاتم !

لقد وعدت نفسها بإعادته إلى «جوناثان» ، عندما تسمح الظروف .. ولكنها أحست بأنها تأخرت كثيراً في رده ..

لذا توجهت مباشرة نحو غرفة «جوناثان» ، دون الانتباه حتى إلى وجوب ارتداء روب النوم فوق قميص النوم الشفاف .. طرق «فران» باب غرفة «جوناثان» ..

فتح الباب مباشرة .. كان «جوناثان» قد خلع قميصه ، وارتسمت على وجهه علامة استغراب لدى رؤيته «فران» .

تمتمت «فران» قائلة وهي تنزع الخاتم من أصبعها قائلة :

- لا يمكنني الاحتفاظ بهذا الخاتم بعد الآن ! ..

رمقها جوناثان بنظرات الإعجاب وأردف قائلاً بصوت مرتعش :

– أرى ! إن «لاري» لا يريدني أن أضع في أصبعي خاتماً قدمه لي رجل آخر !

هز «جوناثان» كتفيه ، ثم أدار ظهره وتوجه داخل الغرفة بعدة خطوات .. تبعته «فران» دون تفكير ، وهي مسحورة بشبح جسمه الرياضي ، كامل الرجولة والجذاب .. متناسية حتى السبب في مجيئها إلي هذا المكان ..

ثم لمع بريق في نظرة وجهها إلى الخاتم الذي تلبسه في إصبعها وعادت بها الذاكرة ..

قالت له « فران » وهي تتوجه إلى مكتب جوناثان لتعطيه الخاتم :

– أؤكد لك أن «لاري» لا يمثل شيئا بالنسبة لي .

التفت «جوناثان» فجأة ، وعيناه تبرقان غضباً :

– «فران» اخرجي من هنا وخذي معك هذا الخاتم ! .

ظلت «فران» مجمدة في مكانها .. ترى ألم يكن بالإمكان أن يتركا بعضهما وهما صديقان ... كالسابق ؟!

استطرد «جوناثان» قائلا :

– إنني تائه . إنني أعتذر ، حقاً ! .. اعذريني ...

– أنت تعتذر لـ«فران» هل تدري فقط ما تقول ! .. إذا كان هناك شيء لأحد ما ليتأسف عليه ، يبدو لي أنه أنا التي يجب أن تعتذر ..

هيا .. لقد قالها .. كان لا يريد مقابلتها على الإطلاق ، ولا الاهتمام بها أبداً ... بل إنه لا يريد حتى سماعها تتكلم ! وخلعت «فران» الخاتم بحركة رد اعتبار ووضعته على المكتب ، وتوجهت نحو الباب ببطء لتخرج دون عودة .

جاء وقت رحيل كل من «الين» و«بيل» .. ثم سيذهب بعدهما «جوناثان» أيضاً ، مغادراً البلاد إلى «جورجي» وكان لدى «فران» شعور بأنه لن يعود أبداً إلى «كي ويست» .

انفجرت «فران» باكية ، وهي تودع «الين» ، رغم بذل جهدها في عدم إظهار حزنها وتعاستها .

تنفست «الين» الصعداء بلهجة حزن :

– اوه ! «فران» !

لم تتوقف «فران» من استيعاب الموقف بشكل جيد .

أضافت «الين» وهي تبتسم قائلة :

– إنني أكره مواقف الوداع . كان علينا أن نغادر المكان دون أن نخبر أحداً ..

ربتت بيدها على كتف «فران» قائلة :

– هيا ! لا تخفضي رأسك بهذا الشكل ! .. صدقيني إن «جوناثان» سيأتي إلى «كي ويست» –في أغلب الأحيان– طالما أنت فيها . إذ ليست لديه الشجاعة لتمضية فصل الصيف بأكمله بعيداً عنك ؟

كانت «الين» سعيدة جداً لشعورها أن «فران» تحبها ولا تخدعها ..

وفجأة سُمع صوت كلاكس سيارة «جوناثان» ، كان «بيل» قد غادر وجلس في السيارة التي ستقله هو وزوجته إلى المطار ..

صرخت «الين» قائلة :

– هيا أنا قادمة ! .. لقد أتيت .

جلست «الين» بجانب «جوناثان» ولوحت بيدها مودعة لـ«فران» و«لاري» اللذين وقفا بجانب بعضهما على المدخل ، وهما يتابعان بنظرهما سيارة المرسيدس وهي تبتعد .

تمتمت «فران» قائلة :

– إنهما حقاً لطيفان جداً ..

– وهما أيضاً ، يحبانك كثيراً .. ولكن لا تقلقي يا «فران» إننا سنراهما من جديد .. وفي انتظار ...

تردد «لاري» قبل متابعة الحديث قائلاً :

– ما رأيك لو نخرج معاً هذا المساء ؟

لقد طلب منها هذا الأمر بطريقة لم تستطع معها رفض عرضه .. على كل حال ، كان من السهل تخيل الشخص الذي يرغب «جوناثان» في الخروج معه .

وما هي إلا بضع ساعات ، حتى بدأت « فران » بارتداء ملابسها . قرع الباب – عندئذ – وتخيلت « فران » مباشرة الطارق .

لذا تمتمت قائلة بصوت منخفض :

- أدخل .

ولكن فوجئت بـ«جوناثان» يفتح الباب :

- لقد أخبرني «لاري» أنك ستخرجين معه هذا المساء ؟

- هذا صحيح ..

- لقد جئت - في هذه الحال - لأودعك الآن إذ سأغادر غداً في الصباح الباكر ..

- لِمَ لم تخبرني بذلك مسبقاً ؟ لو كنت أعلم بهذا الأمر ، لما قبلت دعوة «لاري» ! .. ولكن مازال هناك متسع من الوقت لتصحيح الأمر و...

- لا تفعلي أي شيء .. فقد تم مسبقاً ترتيب أمر سهرتي .

كان من غير الضروري السؤال عن الشخص الذي رتب له أمر هذه السهرة .. ولكن لِمَ لم يشر إلى هذا الأمر بمثل هذه الطريقة المحرجة؟!

جئت لأخبرك بأن مغادرتي المكان لن تغيرّ شيئا من .. ترتيبنا .. يمكنك الاستمرار في الإقامة بهذا المنزل . قدر ما

تريدين ..

احتجت «فران» قائلة :

- ليس هناك أية مشكلة . أضف ..

قاطعها «جوناثان» بلهجة سخرية قائلاً :

- ولكن بالتأكيد ! .. لقد نسيت أنك ستتزوجين «لاري» وبالتالي سيكون لديك منزلك الخاص ! أخشى أن انغمس في مشاعري . وألا أتمكن من حضور حفل زواجكما .. هل بإمكاني تقبيل العروس ؟

تقدم منها بضع خطوات وقبلها .. كانت تعتقد أنه يريد إهانتها أو .. معاقبتها ...

ثم تركها فجأة متوجهاً نحو الباب دون إضافة أية كلمة ، وبصورة أسرع من وقت دخوله ...

ظلت «فران» ثابتة في مكانها عدة لحظات - لا تتحرك ، ترى ماذا فعلت حتى تستحق مثل هذا الاحتقار ؟ .. ولماذا كان عليهما أن يفترقا على هذه الحال .. أعداء تقريباً ؟ ! امضت «فران» تلك

الأمسية برفقة «لاري» وكأنها في حلم .. إذ لم تكن هي حقا التي تضحك وتتكلم وترمي بالفكاهات بل .. أحست بفقدان «فران» الحقيقية .. وظلت تنتظر الوقت الذي تصبح فيه وحيدة ، داخل غرفتها لتعيش مع حزنها بكل حرية ..

كان الوقت متأخراً عندما ارتمت «فران» في سريرها ، خائرة القوى .. في حين أحست بقدوم «جوناثان» من خلال صوت سيارته المرسيدس ..

أغمضت « فران » عينيها ، وهي تستنشق بعمق رائحة الياسمين العطرة التي تصل إليها من خلال نافذة غرفتها المفتوحة ..

ثم ما لبثت «فران» أن نزلت غرفتها على رؤوس أصابعها ، بعد إحساسها بعدم القدرة على النوم ، وعدم القدرة حتى على البقاء داخل هذه الغرفة حيث حر الطقس الاستوائي ينتشر في كل مكان .. وما إن وصلت إلى بهو المنزل ، حيث صادفت وجود «جوناثان» قالت مضطربة :

– كنت .. أعتقد أنك نائم في غرفتك ...

رفع «جوناثان» كتفيه قائلاً :

– وأنت لِمَ لم تنامي حتى الآن ؟ أهي فكرة زواجك من «لاري» التي تقلقك لهذا الحد ؟ ! ..

مازالت «فران» تفضل مقابلة غضبه بالهدوء .. إذ ربما يتيح أمامها – على الأقل – الفرصة في الرد عليه وفي الحديث معه بكل صراحة .. إذ كان لديها أشياء كثيرة تريد قولها ! .. كانت تريده أن يعلم بأن جهوده أثمرت أنها أدركت ما يريد وتغيرت ..

قالت «فران» بلهجة واضحة :

– إنني لا أدري سبب تصورك الدائم أنني سأتزوج «لاري» ..

ثم تقدمت خطوة باتجاهه التفت «جوناثان» نحوها ، دون أن يرد بأية كلمة وابتعد عنها عدة خطوات .

قالت له بلهجة رجاء :

أرجوك يا «جوناثان» لا تذهب ، لدي كلام أقوله لك ..

انفجر «جوناثان» قائلا :

– ولكن ماذا تنتظرين مني ؟ إذا كان هناك نصيحة أقدمها

لك، فهي وجوب الذهاب مباشرة إلى غرفتك .. صدقيني أن هذا أفضل بالنسبة لك !

كانت «فران» قد قطعت عهداً على نفسها أن تبقى هادئة ، ولكن جاء هذا المكر غير المفسّر ليثير غضبها وليجعلها غير قادرة على الاحتمال .. وفجأة انهمرت الدموع من عينيها لتنقذها ولتفر هاربة .. ولكنه لحق بها وحاول إمساكها ، ثم مالبث - بعد لحظات- أن وجدت نفسها بين ذراعيه :

- أرجوك ، لا تبكي يا عزيزتي ..

ضمها «جوناثان» ، وقال :

- إذن لا يمكنك أن تسامحيني ؟

- على ماذا ؟

- على أنني أردت أن أغيّرك وأن أتحكم بحياتك وكأنني شيطان أناني ، وكأن لي الحق في ذلك ! ولكنني أريد أن أبرهن لك على اتساع العالم وعلى امتلائه بالوعود إنني أريد أن أقدم لك ....

وارتعش صوت «جوناثان» .

في حين تمتمت «فران» قائلة :

- «جوناثان» تابع ، «جوناثان» أخبرني ...

- عندما رأيتك يوم وصول «الين» و«بيل» ، على رصيف الميناء ، وأنت تبكين بتلك الطريقة على ما فقدته من حياتك .. شعرت حينئذ مباشرة بأنني مسؤول عن تعاستك .. إذ أحسست تماماً أن لا أحد يحق له تسيير حياة إنسان آخر بمثل هذه الطريقة .. وإذا قمت بذلك ، فهذا عائد إلى قاطعها «جوناثان» وتنفس الصعداء ، في حين بدأ أمل مجنون يداعب قلب «فران» :

- هذا عائد إلى ؟ اتمم حديثك يا «جوناثان» .. أخبرني بكل شيء ! ..

أدار «جوناثان» بوجهه بعيداً وتابع :

- إنني لم أستطع منع نفسي ! .. «فران» لقد أحببتك وأردتك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها.. كنت مجنوناً .. مجنوناً بحبك، وبدأت أتحرك كالمجنون .. لقد أردت أن أبعدك عن

ذاك العالم الذي لم يكن يخصني ، ولكنني كنت قاسياً في تنفيذ الطريقة ..

قطّب «جوناثان» حاجبيه متابعاً :

– لقد نلت حتماً جزائي .. إذ فقدتك ! وأصبحت فكرة زواجك من «لاري» أمراً لا يحتمل بالنسبة لي !

بدأت موجة من السعادة تحكم مشاعر «فران» التي كانت تحس بالفشل الذريع وخيبة الأمل .

صرخت «فران» وهي تبكي وتضحك بنفس الوقت :

– اوه «جوناثان» ! .. كم أنت مجنون ! ..

عاد بوجهه لينظر إليها ليقول :

– هل هذا صحيح يا «فران» ؟ إنك لم تكوني تريدنني أن ...

– اوه بلى ، إنني أريدك وأحبك ! إنك لا تتصور مقدار حبي لك .

همس «جوناثان» في أذنها قائلاً :

– لِمَ لا تخبريني بهذا الأمر ؟

وضمها إليه بحنان وكأنها شيء قيمّ وثمين يخاف كسره وضياعه :

– اوه ، «فران» ، هل تعلمين أني منذ خمس دقائق كنت أتعس إنسان في هذا العالم ..

وبدأ يقرّبها منه أكثر ، ثم رفع رأسها إلى أعلى :

– والآن ، أخبريني يا عزيزتي ، لِمَ لم تقولي هذا الكلام من قبل ؟

أخذت « فران » تروي له كل ما حدث ، دون أي تردد ، وبصورة مستمرة ، حيث حدثته عن الحديث الذي سمعته عند السيدة « الينور » ومدى مفاجأتها بهذا الكلام ، وإصابتها بخيبة الأمل ، ثم عن مهاجمة «آنا تايلور» بها ، والإهانات التي وجهتها .. أنصت «جوناثان» إليها دون مقاطعة ، وسمع كلامها بتأن وعمق ...

ثم صرخ «جوناثان» بعد انتهاء حديثها بمتهجاً :

– يا ملاكي احبيب ! .. كيف أمكنك تخيل أنك فهمت كل شيء من خلال هذه المحادثات ؟ .. إذ لم تكن الحمقاء الصغيرة ، التي كنا نتحدث عنها في تلك الأمسية ، إلا « آنا » ! .. وهذه الخطوبة التي نسميها خدعة ، كنت أتمنى لو تكون حقيقة !

.. وتنفس الصعداء متابعاً :

– كنت أتمنى ، من خلال وضع الخاتم في أصبعك أن أبعد عنك باقي الرجال ، لأنني كنت غيوراً ، كالمجنون .. من «لاري» على وجه الخصوص ! إذ تصورت أنه يحبك ..

لم تكن «فران» بحاجة لسماع المزيد ... تقدمت منه وقبلته ، في حين رد عليها بابتسامة حنان قائلاً :

– عزيزتي ... إنني أحبك بجنون .. لقد انتظرت طويلا .. وأعلم أنك لم ترض عني حتى الآن ..

ولكن سارعت «فران» إلى الاقتراب منه ومقاطعته :

– إنني أحبك كثيراً ، وانتظر هذه اللحظات منذ فترة ...

– هل تقصدين ...

– كان قلبي يرتجف في كل مرة أقابلك فيها أو أسمع اسمك ..

– هيا إذن فقد كنت تبتعدين عني ، لأنك تفضلين أن نكون متزوجين ...

ارتعشت «فران» لدى سماعة كلمة «متزوجين» واضطرب حالها ثم قالت له بكل بساطة :

– «جوناثان» إنني جزء منك ..

وتعانقا طويلاً ..

www.elromancia.com

الفصل الحادي عشر

فوجئت «فران» قائلة :

– «جوناثان» ، .. هذه رسالة من العمة «ليزا» ؟

خرجت «فران» من المسبح ، واتجهت نحوه لتطبع على شفتيه قبلة عادية .. كانت تحس أنها جزء من هذا الإنسان ، جسدياً وروحياً ...

وأخيراً ، توجه «جوناثان» إليها بالقول :

– ألا ترغبين بمعرفة ما تريد عمتك أن تقول لي ؟

– بصراحة إنها لا تعرفك جيداً !

– لا ياحبيبتي ! أنا وعمتك نعرف بعض جيداً ويمكنني القول أننا صديقان .

وانفجر «جوناثان» ضاحكاً ، في حين قطبت «فران» حاجبيها مكررة بدهشة :

– صديقان ؟

– هل تذكرين الليلة الأولى التي تناولنا فيها العشاء معاً ؟

هزت رأسها بالإيجاب .

– تماماً في «لانفووست» ..

– غادرت في اليوم التالي «كي ويست» ، وبقيت غائباً حوالي ثلاثة أسابيع .. وعدت مباشرة في الوقت المناسب . لأنقذك من براثن مدير الـ«بلاك بيغ» ، هل تذكرين ؟

هزت رأسها بالإيجاب مرة أخرى .

اعترف «جوناثان» قائلاً :

– لقد غادرتك مع تصميمي على نسيانك ، ولكن وجدت هذا الأمر مستحيلاً .. لذا ذهب إلى «جورجي» لأعرض مشروعي على عمتك .. وبقيت – منذ ذلك الحين – على اتصال معها ، فنحن نتراسل بشكل منتظم ومستمر ..

نظرت إليه «فران» باستغراب قائلة :

– لقد قررت أن تتحكم بمصيري وحتى قبل أن تكتشف أن أغني في الـ«بلاك بيغ» وحتى قبل أن تعلم فيما إذا عثرت على مكان إقامة آخر أم لا ؟

أردف «جوناثان» قائلاً بحنان :

– لقد قررت الزواج منك ، ولكنني لم أعرف الطريقة للوصول إلى إقناعك ...

تنهدت «فران» تنهيدة طويلة :

– لقد أدركت الآن عدم احتجاج عمتي ليزا ، عندما أخبرتها أنني سأعيش عندك .

كان في أعماقها .. شعور بسيط بالاحتجاج .

وانهت الموضوع من خلال النظرة إليه بنظرة حب :

– لذا ليس هناك أمل في الهروب منك !

تمتم قائلاً :

وسأخبرك فيما بعد بما كتبت لعمتك .

احتجت «فران» قائلة وهي تداعب كتفيه :

– ليكون الآن ، فأنا أصغي إليك جيداً .

أمسك بيديها بين يديه ثم قال خجلاً :

– لقد طلبت من عمتك أن تجري تحقيقاً بهدف معرفة ما آلت إليه أمك ..

تجمدت «فران» في مكانها ، وهي تشك بكل ما سيدور بعد ذلك .

قالت مضطربة :

– هل علمت شيئا عنها ؟

– أجل وكما تصورت ، فإن والدتك لم تتخل عنك ، كان هدفها بعد تركها والدك ، الحصول على الطلاق والحفاظ عليك .. لذا توجهت عند أصدقائها في «اطلنطا» للجوء عندهم . واجتاحت المنطقة – أثناء تلك الفترة – موجة من الكريب أدت إلى وفاة العديد من الأشخاص ، وكانت والدتك بين الذين أصابهم فيروس المرض و ..

– هل ماتت .

– أجل ..

ظلت «فران» صامتة بعد فترة من الوقت ، تفكر فيما لا تعرفة عن حياتها الحزينة .

وأخيراً تمتمت قائلة :

– شكراً ، «جوناثان» شكراً لأنك أدركت أهمية أن أعلم هذه

www.elromancia.com

الحقيقة .. إذ لم أكن أتحمل فكرة تمكن والدتي من التخلي عني .. هذا أمر غريب .. إنني لم أكن شيئاً لوالدي .. بعد الآن .. وتجدني غاضبة فقط تسييره مجرى حياتي بهذه الطريقة ، والسبب خطؤه ..

جذبها «جوناثان» نحوه بكل حنان ، وشكرته على ما فعله .. ثم مالبثت أن مسحت ظلال الماضي الأخيرة ..

وقالت بصوت تشوبه ضحكة :

– إنني لن أتردد بعد اليوم في المغادرة إلى «جورجي» .. بل على العكس تماماً ، إنني متشوقة لرؤية عمتي «ليزا» ..

– يمكنني الذهاب لعندها بعد ظهر هذا اليوم ، إذا أردت ! وسيتيح لنا هذا الأمر الوقت لتنظيم استمارات زواجنا .. أي مكان تفضلين ؟

قطبت «فران» حاجبيها دون فهم قوله :

– كيف هذا .. بعد ظهر هذا اليوم .. ماذا تريد أن تقول ؟

– لقد سبق بكل بساطة ، أن اشتريت بطاقتي طائرة إلى بوسطن .. وقلت انك تحبذين مقابلة «الين» و «بيل» ليكونا شاهدين

على زواجنا .. حيث قد تقوم «الين» بإعداد حفل استقبال بسيط و .. دعيني أنهي كلامي ! كيف تريدين ...

وقبلها قبلة ، ثم تابع يقول :

– ثم آخذك بعد ذلك ونذهب إلى «ماين» .. إنك لا تعرفينها وأنا متأكد ...

قطبت «فران» حاجبيها ..

– «فران» .. ماذا بك ؟ إن فكرتي لا تعجبك ؟

صرخت مبتهجة وهي تضحك :

– يعجبني بالتأكيد .. ولكنني أتساءل ماذا ننتظر حتى نذهب لحزم حقائبنا .

حملها «جوناثان» بين ذراعيه وقبلها .. وما إن تركها حتى ضحكت بابتسامة من قلبها ..

ظل الاثنان يضحكان طيلة الطريق وهما يتجهان إلى المنزل الأبيض ليشاهداه والشمس تداعبه .

♥ ♥ ♥

www.elromancia.com